ايليا حليم حنا

مــاذا أقــرأ ؟

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

لكل قارىء تكوينه الثقافي وميوله وذوقه واهدافه ومفاهيمه الشخصية والعامة التي تحدد نوع القراءة التي يقبل عليها .

ومدار كلامي في هذا المقال ما يقرؤه المثقف من اجل التكامل والنمو بالاتصال بمجالات الفكر والفنون المختلفة التي تثقف حسه وعقله وقلبه كما اتحدث عن مفهوم الكلمة المكتوبة وما يمكن ان تحدثه من انتفاضة في عقل القارىء ووجدانه تمكنه ان يطاول وعيه العديد من قضايا العصر وترهف حسه الفكري والانساني الى غايات ابعد من واقعه وتفكيره العادي .

« والقارىء الهادف الذي يدرك القيمة الحقيقية للقراءة يقرأ ويهضم ويفكر ويجرب ليستخلص شيئا جديدا يضيفه الى تراثنا ويعمل على تغيير حياتنا وتكييفها ، وكلما اكثر من هذه القراءة الواعية المركزة المنظمة كلما وجد نفسه يقترب من هدفه فيزداد تفكيرا ، واثناء حرارة التفكير والانغماس فيه بعقله وكل حواسه تنقدح في ذهنه الافكار الملهمة فيزداد محصوله العقلي ويزداد هو استحواذا على العالم الخارجي وادماجا له في حياته .

والاديب الفنان كالمخترع ورجل العلم يقرأ للابتكار والاستلهام ، وليس ليشبع جشعه الثقافي فقط ... انه لا يقرأ لينقل ولكن ليحس نبضات الفن والالهام والبصيرة » (*)

والادب - كما افهمه - عاطفة وفكر ومتعة ذهنية وجدانية رقيقة . . . كما انه رسالة انسانية حضارية تخدم الحياة بكل ما فيها من مثل عليا واشواق رقيقة ومطالب راقية وتزرع في النفوس الخير والجمال ... انه مؤثر فكري وروحي غايته انسان افضل في مجتمع يتسع للحياة الانسانية بكل مطالبها ومطامحها وتشوفاتها .

والاديب الحق لا ينتج شيئا يرضى عنه الا اذا تحركت اعماقه وفارت وفاضت .. ان اصالة كل اديب تنبع من ذاته التي لا تعيش في فراغ بل تتأثر بما حولها من احداث واوضاع ... والاديب الذي لا يعبر عن ذاته لا يكون اصيلا فالاصالة هي الا نكون غيرنا ... وفي هذا يقول (أنتوني وست) : « العمل الادبي الحقيقي لا يفرزه عقل الكاتب الا بعد ان يعتصر قلبه ودمه » ..

الادب صياغة فنية لتجربة بشرية ، والاديب يتأثر بمجتمعه ويؤثر فيه ، عندما يتأثر بالتجربة او المأساة وتستقر في اعماق ذاته يستيقظ على التفكير فيما يشغله وينام وهذا الشيء ملء نفسه وروحه . يغوص في الاعماق ويحلق في الاعالي مجتازا الظواهر الخارجية ، يعيش مع ذاته في عالم علوي وقد تطهرت نفسه من انانيتها وماديتها ، وعندئذ يكون ادق حسا واكثر انطلاقا الى رحابة التفكير والتعبير الانساني فيرى رؤية رائعة تنبهر بها النفس ويرى الحياة والاشياء من زاوية تختلف عن رؤية الانسان العادي لها ، رؤية تمس الحقيقة الانسانية بجوهرها الصافي بعد ان فجرت التجربة ينابيع الجمال في اعماق كيانه وعندئذ يكون اقوى على الابداع في عالمه الداخلي عالم التأمل والبصيرة والخير والجمال وفي هذا يقول (فان جوخ) : « من صفات الفنان الاصيل اذا انغمس في المأساة ان يخرج منها طاهرا نقيا » .

هذا هو الاديب الفنان الذي نرى انفسنا وخلاصها فيما ينتجه لنا ، نتبادل معه النبضات وتتصل نفسه بنفوسنا ويسكب من فكره في فكرنا ومن قلبه في قلوبنا وندرك معه سر الجمال والحياة وحقيقة الانسان والاشياء في صميمها ... هذا الفنان المستغرق في انسانيته وشفافيته يوجه قارئه الى عالم المثل الطيبة وواحات الامل ، يعالج المآسي بانسانية وعمق ويهذب اعماقنا ويحرك اوتار الجمال في نفوسنا ويبذر في عقولنا بذور الثورة على انفسنا ، الثورة التي تطهر اعماقنا وتحرق شوائبها ، نفكر معه ونتأثر به فنسمو على واقعنا ونرتفع من ادنى الى اعلى ، ونحس اننا اصبحنا انسانا جديدا يرى نفسه والدنيا حوله بعين جديدة ، وحس جديد . ادبنا هذا له طاقة توجيه وابداع يتمكن بها من تجديد خلايا وجودنا الاجتماعي والحضاري ، يصوغ لنا القيم والمفاهيم والمقاييس الجديدة

(*) من كتابي « فن القراءة » ١٩٥٦ .

ينشرها بين الناس بعد ان يصوغها في معمله الفني فتدخل عقولهم وقلوبهم لما فيها من صدق واخلاص وجمال . لهذه التجربة التي لمسها الفن وصاغها ، قوة تغيير الحياة وانهاضها .

ليس الاديب صحفيا ، وليس كاتبا اجتماعيا وليس عالما نفرض عليه الموضوعية اولا وقبل كل شيء ، فان ذاتيته هي البوتقة التي يلقى فيها بما تأثرت به نفسه فيصفيها وينقيها بما في نفسه من قيم جمالية ويخرج لنا بجوهر جذاب رائع ... اننا عندما نطلب منه ان يدور في فلك مذهب معين او اتجاه خاص نسلبه طاقاته الشخصية ونجرده من الاخلاص والصدق .. ليس في الفن قياس يؤخذ به ولا شيء يفرض عليه .. فالاديب لا ينتج فنا الا اذا وعى حقيقة ذاته وحقيقة العالم الخارجي الذي يحيط به .. الادب معاناة وصدق واخلاص ... انه فن قبل كل شيء يخدم المجتمع بما ينتج من صور جمالية واحساس راق مصدره اوتار الجمال التي في اعماق الذات البشرية . اننا نجرد الادب من اجمل خصائصه ان جردناه كله من الذاتية ، فالذاتية هي المحرك الاول للتعبير الفني .

ان ما يهمني في قراءاتي الادبية هو العثور على المثل الاعلى روحيا وفكريا ووجدانيا ... والاديب الفنان هو الذي يحرك اعماقي وشعوري وتفكيري وآمالي وتأملاتي ، يتجه بي الى الحقيقة في اطار جميل ويعمق وعيي لجوهر الاشياء والانسان فيحدث نشوة جمالية عارمة في نفسي، ينقلني الى آفاق غير عادية فأرى بعين اعماقي ما كان محجوبا عني .

في قراءاتي اسعى الى معايشة اعمال فنية تختلف مواقف واتجاهات اصحابها وبالتالي تختلف معطياتهم التي تبدو فيها الاصالة والحرية والمعاناة . اعيش مع الاديب الذي يعمق احساساتي وشعوري ويثري فكري ويعطيني متعة وجدانية ... تستغرقني قراءة مثل هذا الاديب واعيش معه في فكره ووجدانه حتى وان كان مغمورا ، فانه لا تهمني شهرة الكاتب بقدر ما يهمني اخلاصه وصدقه والقدرة على نقل انفعالاته ... انني لا اهتم كثيرا بالاسماء قدر اهتمامي بالانتاج وهذا ما يجب ان يفعله كل قارىء واع فالادباء الناشئون عندنا لا يواجهون في الحقيقة ازمة نشر قدر ما يواجهون ازمة قراء . انني ايضا لا اعبأ بما يقوله النقاد ، فانهم كثيرا ما يتجاهلون المغمورين ... وانا لا احب ان اربط من عنقي واقاد الى ما اقرؤه انني احب ان احكم بنفسي على الزاد الفكري الذي اتناوله واستمرىء ان اتذوقه بنفسي فان لي عقلا يدرك ويميز . ويكفي ان احس ان للاديب طابعا خاصا وانه يتحرى جذور شخصيته في انتاجه الذي يحمل خصائصه ويمتاز بالتعبير الجميل الصادق الذي يؤكد تلك الشخصية الادبية .

انني لا اقيس اي انتاج ادبي بمقاييس النقد الشائعة المتضاربة .. والناقد كما نعرف انسان له ذوقه المتفرد بالنسبة للاحداث والتجارب ، وله حساسيته الخاصة التي تختلف في قوتها عن حساسية غيره ، وله موقفه من الحياة وميوله وثقافته وكلها تؤثر في حكمه على العمل الفني ... وقد يكون لتكويني الثقافي والفكري والوجداني المختلف ما يجعلني ارى في العمل الادبي ما لا يراه ، واتذوق فيه ما لا يتذوقه ، والعقول بطبيعتها غالبا ما تكون كبصمات الاصابع لا تتشابه منها اثنتان .. لذا فانني لا آخذ نقد النقاد امرا مسلما به ، وقد تعودت ان اقرأ ما يصدره النقاد من حكم فيه ... والنقاد كثيرا ما يهاجمون ما لم يألفوه ، وفي تاريخ الادب الكثير مما هاجمه النقاد في عصر من العصور ثم جاءت الاجيال التي بعدهم وقدرت هذا الانتاج وجعلته اساسا لنهضة ادبية جديدة ويكفي ان اضرب مثالا واحدا بكتاب « ذكرى ابي العلاء » الذي وضع فيه طه حسين اسس البحث العلمي في الدراسات الادبية وهاجمه النقاد بعنف وقال عميد الادب العربي عن هؤلاء « لم اجد فيما كتبوه الا شتما وسبا ، والا طرقا في الفهم معوجة ، ومناهج في التفكير عتيقة » .

انني في قراءاتي لا انظر الى المنهج الادبي الذي ينتهجه الاديب او المذهب الفني الذي ينحو منحاه ، ولا اقول هذا (ادب للادب) او هذا (ادب للحياة) . وقد قام بهذا الفصل الماديون الذين لا يرون في الادب ناحيته الجمالية الخالصة . انهم لا يرون له الا ناحية نفعية حسية مادية فقط ، والحقيقة ان الفن للفن والفن للحياة اقنومان لا ينفصلان في نفس الفنان ... انهما يمتزجان في قلبه وفكره وينضجان فيفرز لنا شيئا جميلا .. ولا غنى للفنان عن الفن الخالص من اجل روحه ووجدانه وسموه ... والذين يقولون ان الفن ضياع للجهد البشري وعبث لا يفهمون قيمة الفن الروحية والمتعة النفسية الجمالية التي يجنيها الفنان والمتلقي من هذا الفن الخالص .. انها مادية كثيفة مظلمة ان نسخر من فنان يفصح لنا عن نبضات قلبه واشواق روحه عندما تهتز اوتار الجمال في ذاته فيعبر عن صورة جمالية خالصة ليس لها علاقة بماديات الحياة !. انها اعتبارات يسوقها المفهوم المادي الذي يسود عصرنا .. وكأن مطالب الارواح لا مكان لها في الحياة والمجتمع ... ومثل هؤلاء الماديين كمثل من يهاجم صاحب قطعة ارض امام داره زرعها زهورا وورودا ولم يزرعها قمحا .. يحق لهؤلاء الماديين ان يلوموا صاحب الحديقة هذه لو انه حول كل ما يمتلك من حقول الى حدائق طلبا للمتعة الجمالية وابطل زراعة القمح الذي لا غنى عنه ايضا لحياة الاجسام.

لا احد ينكر ان القيم الجمالية لها دورها الفعال في تهذيب النفس ... انها تفجر ينابيع الاحساس بالجمال الذي يزيح الظلام عن العقول والقلوب ويطرد من النفوس الشر والاوهام والاضاليل والانانية فنحس في اعماقنا بضرورة التغيير ونشعر ان العالم جميل وانه في الامكان ان تكون الحياة مليئة بالحب والخير والطهر والنقاء والعظمة

... كل هذا يحدثه الفن الحر الصادق المعبر عن الجمال وشفافية الروح لانه باب كبير للنعيم النفسي .

وينقلنا الكلام عن الفن الخالص الى الشعر الذي هو غناء جمالي بحت يضرب على وتر حاسة الجمال في نفوسنا ... انه الفن مجسدا ... واحب الشعر الى نفسي ما يقدم تجربة الشاعر بابعادها النفسية . انني لا افضل شاعرا على شاعر ولا أفرق بين شعر تقليدي وشعر حديث . وأعذب الشعر عندي ما يترجم الواقع الحدثي او المرئي او التخيلي الى واقع فني يفوح من معانيه عطر نفسي ارتاح اليه وموسيقا تطرب اعماقي ... احب الشاعر الذي يتسلل الى اعماقي دون وعي ... يثيرني بشكل صاخب ينتزعني من عالمي المادي ، يفسر الحياة ويوضح خفاياها ويغوص في اعماقها . اسمع كلماته حية تنطق وصوت قلبه يرن في ارجائي ، فأعيش معه في عالمه في انفعال لذيذ لا احب ان يضيع ، اعذب الشعر عندي ليس اكذبه بل اصدقه ، فالشاعر الفنان يستطيع ان يدمج نفسه في تجربته التي يصوغها بنبضاته الفنية واهتزازاته الوجدانية ويعطينا رؤية للحقيقة المقلقة او المتسامية على المادة فتصل الينا ولها حرارة الانفعال الذي عاناه ويثير فينا الذكريات والرؤى والمدركات الخفية والظاهرة ، وعندئذ تطرب لها اعماقنا وتصفق وهي تنبثق فيها كالوهج . هذه التجربة الشعرية الصادقة تنقل الينا عصارة احاسيس الشاعر واهتزازاته مع الحياة في الفاظ شفافة ومعان دقيقة وعبارات رقيقة وصورة مبلورة — لا ينقصها صفاء الرؤية — بعيدا عن الغموض والحذلقة التي نراها في كثير من الاشعار الملغزة وفي بعض شعراء مدرسة الشعر الحديث .

والشعر ليس شعورا بقدر ما هو تجارب عميقة صادقة فالشاعر المبدع هو صاحب التجربة الصادقة الناضجة التي تنضج في كيانه الفكري وفي قلبه واعصابه .. ليس الشعر تعبيرا عن العواطف الناعمة والانطلاقة الذاتية فقط ، ولكنه تجربة عميقة اثرها كبير في نفس وعقل المتلقي عندما تصل اليه نابضة بالصدق ، كيف لا تنبض بالحياة وقد كابدها الشاعر وامتزجت بحسه واثرت في اعصابه ، اقلقته ، ارقته ، شغلت كل تفكيره ، نغصت حياته او اسعدته .. الهبت مشاعره ، حفزت همته للكفاح والنضال فأرسلها وقد تحرر من اغلال حصاره الفردي تنطق بلسان الجوهر والانسان وبلسان الطبيعة .

وأكره ان يقال الشعر فيما يمكن ان يكون النثر فيه اكثر طواعية فلا محل في الشعر للتفكير المجرد الجاف والمعلومات او المجاملات التي تلوكها السنتنا كل يوم ... فهذه وامثالها ليس الشعر مجالها والنثر احق بها . وهناك فارق كبير بين الشاعر وصانع النظم ، الشاعر يرى الاشياء رؤية فهم واستشفاف تختلف عن رؤية صانع النظم الذي لا نجد في نظمه ما يضيء الروح ويهز النفس وهو يحسب انه يقول شعرا ويفخر انه يستطيع ان يعبر نظما عن كل شيء ، وما يقوله ليس في الحقيقة من الشعر في شيء الا على مذهب الفية ابن مالك . ويعبر (بينيلوب مورتيمر) عن ذلك بقوله : « الشاعر الذي يصف الشجرة وهو غافل عن جذورها يفقد أصل الحقيقة وجوهرها » ويقول (روبرت روبنسون) : « الفنان لا ينقل صورة الواقع ... وانما يعيد تشكيل الواقع في الصورة المثلى التي يأملها للانسانية ، تلك هي حقيقة الخلق الفني في أجلى معانيه » .

انني أقرأ للمتعة الذهنية والصقل الجمالي واعتقد اعتقادا راسخا انه عسير على من لم يهذب نفسه بالفن ان يلتقط مرهفات الفكر ، والفكرة السامية الراقية ما هي الا نظرة فنية الى العالم والاشياء .. العلاقة بين الفن والحقيقة علاقة وثيقة والفن ينبع من رغبة الفنان في تهذيب الحقيقة المفتقرة الى الجمال وتخليصها من شوائبها ولقد كان (بروكليس) على حق عندما قال : « كيف تندمج الروح في الواحد الكلي الا اذا نامت العناصر المتنافرة التي تصطخب فيها ؟ » والاديب الفنان له اثر كبير ودور خطير في تربية نفوسنا ... اننا عندما نربي النفس على الجمال نجعلها تشمئز وتبتعد عن القبح ... والجمال هو الخير واساس كل حياة طيبة .

وسعادة الانسان هي الهدف الاول للاديب والاديب الحق فنان متفائل حتى وهو يعرض قروح الانسانية .. يملأ الناس بالامل والحياة ، يرتفع بالانسان من الاهتمامات والهموم والاحزان والمآسي الى الكفاح والنضال من اجل حياة افضل وهو يؤمن ان الانسان سيد في هذا الكون وماله لهذه الحياة وله الحق في مستقبل عظيم ...

هذا الكاتب الاديب ادرى بادوار العصر وعلله يحس بمدى الازمة الانسانية التي يعانيها الانسان المعاصر فيقدم له ما يعينه على شق طريق جديد بين الاشواك والصخور ويمكنه من السير في دروب الحياة الوعرة بكل ما ركبته الحضارة المادية في نفسه من قلق وضجر ... انه يحلق بقرائه الى آفاق اعلى من واقعهم ويدفعهم الى ارتقاء القمم العالية ، متطلعين الى غد اكثر اشراقا ... يعرف كيف يفجر في الناس ينابيع القوى المعنوية ويدفعهم الى شخصية متكاملة وذات فاضلة يسعون الى تحقيقها على اسس نفسية سليمة ... ينمي فيهم ارادة الحياة والكفاح ويحبب اليهم استعجال المستقبل بدلا من التعلق بالماضي والعيش في هموم الحاضر ، ويضع اقدامهم على الطريق ..

ويصل هذا الكاتب الى فكر وقلب قرائه عن طريق القصة النفسية والسيرة الذاتية ، والاعترافات والتراجم التي ترينا كيف يتمكن الانسان بكل ما يعاني من قلق وعجز وعقد نقص ان يتخذ من هذه العلل تكئة لتحقيق الذات

الفضلى ... هذا الكاتب ضرورة لازمة في عصر الحياة فيه مريضة نفسيا ... وفن هذا الكاتب يبعث دواما الامل الايجابي الفعال في النفوس اليائسة ويدفع فيها قوة تعودها على ركوب الصعب وتدربها على احتمال الالم في سبيل تحقيق الهدف ... هذا الكاتب يصحح الكثير من اخطائنا ويزيل اوهامنا ويبدد يأسنا ويجمل الحياة في عيوننا ويدفع في نفوسنا رجاء واملا وعملا .

وكما اكره ان يكون الادب مريضا يعكس دوافع الموت ، لا احب القراءة للكاتب الجامد . انني الفظ اي متجه ينأى بي عن الانسانية الفامرة . وفي رأيي ان الاديب الحق يحرص على تنمية الاخوة البشرية ويجعل بالمعاني الانسانية الصادقة مجردا من كل ما يثير حقدا او كراهية ، يجسم انسانية الانسان خالصة من كل زيف يمسخها ويشوهها . سمة الاديب الحق الانسانية الرقيقة الرحيمة المتفتحة المقدرة للانسان وظروفه وهمومه والتي تبدد الظلام وتحث الناس ابدا على الخروج الى النور . والكاتب الذي يفقد انسانيته لا يرتفع بمعاصريه الى مستويات اعلى من واقعهم ولا يحلق بهم في عالم افضل بل يردهم الى الارض ، الى شرورها واحقادها وكل سوءاتها ، ويتعمق بهم الى اسفل . وتعاف نفسي القراءة للكاتب الذي يتغنى بالبطولات العدوانية او التفرقة على اي اساس .. فالتغني بالوطنية احساس نبيل .. ولكن حبي لوطني لا يدعوني اطلاقا ان اكره او اعتدي على اوطان الاخرين ... كل القيم الجميلة تدعو للخير والمحبة والسلام والاخاء البشري وهي عندما تكون مصدرا للتطاحن والكراهية والقتال تصبح مرفوضة انسانيا . ان من يقول اقتل او اكره شيطان تحتقر مبادئه .

الاديب الحق لا ينزل الى مستوى معاصريه وعواطفهم بل يسمو بهم الى معايير وقيم جديدة ويتجه بهم الى مجال اوسع وافق ارحب . وهو في انتاجه يهدف دائما بدافع حساسيته الروحية ومنطقه الخاص ان يخلق تجارب جديدة للحياة الانسانية ، ويحضرني في هذا قول (شو) : « ان العظماء في رأيي هم الذين كانت لهم رسالات استهدفوا بها خير الانسانية وكان لهم من الشجاعة والقدرة ما مكنهم من آداء هذه الرسالة » ويقول (سارتر) « ان الاديب يجب ان يمتص التجارب الحية النابضة كما تمتص النحلة رحيق الزهور اليافعة ولا تعيش على البراعم المقفلة والزهور الجافة » .

والادب الروائي ادب ممتع يفيض بعطاء حي متجدد ، يتناول فيه الادباء انضج تجاربهم ويعالجون فيه واقع الحياة علاجا فنيا ممتعا بعيدا عن السطحية في النظر الى الحياة .

والكاتب الروائي الذي لا امل القراءة له يغزو مجاهل بعيدة فيما وراء مجال شعورنا العادي ويتوغل في آفاق جديدة ، يكشف لنا عن جذور واقعنا الضارب في الظلام ويدفع في نفوسنا وهجا ينير اعماقنا فترى الحياة اجمل من الحياة التي نحياها والعالم افضل من العالم الذي عرفناه حتى الان .

والمسرحية عملية تعرية وتطهير عن طريق الحوار الطبيعي الذي يقع في المحادثات العادية بين الناس ، يتأمل فيها الكاتب التجربة تأملا واعيا عميقا ويعرض دوافع الحياة الظاهرة والخفية في التلاحم بين الناس وفي الوضع الانساني العادي فيسبب لنا شعورا بالخوف او الحقارة او الضياع ويقول لنا : انظروا وافتحوا عيونكم جيدا ، ماذا ترون وقد رفعت عن جوهر الحياة ما يغطيه من شوائب وما يدنسه من مخلفات خشنة متراكمة ؟! وعندئذ تتوهج في نفوسنا تجربة اصدق واعمق وارقى .

والقصة التي يكتبها اديب تم نضجه واكتمل تطوره وتبلورت رؤيته بعد ان تختمر تجاربه العديدة العميقة وتهضم ، تبرز لنا اعمق ما في الانسان وتقدم صورة رائعة اكثر وضوحا وصدقا وجمالا من الحياة العادية التي نعيشها وتنقلنا من المألوف الزائف القبيح الى المجهول الرائع الذي رفع عن الكاتب الفنان الاتربة والشوائب .

في قراءة المسرحية والقصة يتذوق القارىء ثمرة ناضجة شهية ويرى الانسان والاشياء في اصدق العلاقات بالطبيعة والناس والحياة .. يرى كل شيء بعين جديدة واحساس وفكر جديدين وهو يشارك الكاتب اكتشافاته ويغوص معه ليتفجر فيه نوع خاص من النشاط الحيوي بعنف لذيذ وهاج يفتح عيون قلبه وفكره .

ويثري حياة القارىء الاديب ان يرافق ادباءه المفضلين في رحلة حياتهم الادبية يقرا لهم كل ما ينتجونه ، فهذه المعايشة تمرس على الحياة واعداد عملي لمن يستهويه القلم ... انه لشيء مفيد ومطور ان نعايش رجلا عظيما معايشة فكرية يلتقي فيها تفكيرنا بتفكيره المنظم ، ونكبر وننمو معه ... هذه المعايشة تنمي في القارىء الاتجاه الى التأثير بدلا من مجرد التأثر . وقد عبر (تشارلس مورجان) عن هذا بقوله « ان ازدهار حياة انسان قد يرجع الى وقوعه تحت تأثير الرجل الصحيح » ..

ولقد اعطاني اساتذتي الحي منهم والميت الشيء الكثير .. عايشت الكثيرين منهم في فكرهم واتجاهاتهم واسلوبهم وصراعهم ومصادماتهم وفشلهم ونجاحهم وكنت احس انني انضج واتطور معهم .

عايشت الاديب العبقري ابرهيم عبد القادر المازني والكاتب المفكر سلامه موسى ، وشاعر الاداء النفسي علي محمود طه وابرهيم ناجي وكامل الشناوي بالاضافة الى عدد كبير غيرهم عشت معهم في مطلع شبابي وكان منهم المنفلوطي وجبران . رافقتهم في كل ما انتجوه وكل ما نشروه ونشر عنهم في الصحف والمجلات .. عشت مع المازني واستهوتني انسانيته وسخريته واسلوبه السهل الممتع ورايت كيف يعبر عن نفسه وحياته بصراحة

ووضوح ... وعشت مع ثورية سلامة موسى ، واحببته كاتبا مفكرا لا يمل المداومة على ما له من آراء ومبادىء ... رأيت فيه الكاتب الموسوعي الذي تجرد لفكرته ، بها عاش ومات وجعلها رداءه وكفنه .

ليس الادب والشعر كل قراءاتي .. انني اقرؤهما لامتلىء بطاقة روحية ، ولا اغفل غيرهما من فنون المعرفة لاكون على اتصال بمجالات الفكر والقضايا التي تحكم عالمنا ، وافهم العصر الذي اعيشه ، بالاضافة الى ما اقرؤه في مجال تخصصي لازيد من كفايتي لتحسين عملي ، والتجديد فيه ، والارتقاء به ، وعدم الوقوف به عند حد .

وكل انسان في عصرنا هذا الذي يتطور ويتغير ويتحرك بسرعة مذهلة ، في حاجة الى القراءة المتصلة المنتظمة ليكون على صلة مستمرة بما يطرأ على التكوين الثقافي للانسان في عصر العلم الذي نعيشه وليقف على التغيير الذي يصيب البيئة الاجتماعية والاقتصادية ، ليكون على اتصال دائم بمصادر الحضارة الحديثة ... ان الاحاطة بالقيم الثقافية للامم المختلفة امر لا يغفله اي مثقف يعيش عصره ، فان من يفصل هذه القيم عن كيانه الثقافي يحرم مما في العالم من تجدد ويتغرب عن حقائق العصر ومسؤولياته . واني لشديد الايمان بما قاله (جورج ديهاميل) : « ان الحضارة اذا لم تكن في قلب الانسان فانها لن تكون في اي مكان » .

وعلوم العصر وفلسفاته لا غنى عنها للقارىء المثقف لانها تثير تفكيره وتوقفه على احدث ما وصل اليه الفكر الانساني ... والعلم يجنبنا الاخذ بظواهر الامور ويعمق الحقيقة المجردة الثابتة التي لا تؤثر فيها ميول الانسان وغرائزه ولا تتأثر بارادته وشهواته ومصالحه في تفهم العالم ، انه يحدث تغييرا جديدا في عقول الناس واذواقهم ووجدانهم وسلوكهم ويقربهم من فهم انفسهم والعالم المحيط بهم فهما صادقا لا يخضع للاهواء .

والتقدم العلمي يضيف الى الادب زادا جديدا فالادب بطبيعته لا ينسلخ عن عصره . والعلم يجدد الفكر ويجدد الحياة نفسها فيعبر الادب عن اشواق العصر وقيم المجتمع الجديد وتطلعاته الجديدة ، ويحاول الاديب بما له من مفاهيم جديدة ان يجد ذاته ويكتشف نفسه ، ويتسع الافق الذي يتحرك فيه وجدانه بما يعطيه له التقدم العلمي من خيال اوسع وتصورات جديدة . و (الدوس هكسلي وويلز) دخل العلم في اهتماماتهما الادبية فانتجا ادبا رائعا طليا جذابا له رؤية جديدة .

والقراءة لا تكون في الكتب والصحف فقط ، تكون ايضا في وجوه الناس وتصرفاتهم وسلوكهم وتجاربهم وحديثهم ، وقد قال اديب انجليزي لا اذكر اسمه : « لقد تعلمت من الحديث مع الناس اكثر مما تعلمت من كل ما قرأت » .

والطبيعة كتاب عظيم يحوي كل اسرار الوجود ، ينهل منها الشعراء والادباء والعلماء والفلاسفة ، وهي كل يوم تفصح لهم عن بعض اسرارها وهم يقلبون صفحاتها ويتأملون قوتها وعظمتها ، شدتها وقسوتها ، لينها وجمالها، منطقها ونظامها . ويلفت (جونسون) نظرنا الى ما يمكن ان نتعلمه من الطبيعة في قوله : «من يتصور ان الافكار لا توجد الا في الكتب وان في الكتب كل الافكار فما هو الا واهم ، والافكار تجري مع الانهار ومجاري الماء، وتطفو على وجه البحر وتتكسر على شواطئه وتسكن التلال والجبال وتسطع مع نور الشمس وتنسدل طي اجنحة الظلام ،ان الافكار موجودة في كل مكان وزمان » .

والقراءة في كتاب الطبيعة يكون بالملاحظة والتأمل والنظر الى شموخها وجبروتها وصمتها وتقلباتها ومناظرها الخلابة ومخلوقاتها العديدة بعين الطفل الغضة الفاحصة وببصيرة الفنان الذي يمتاز بانه يحس اكثر ويرى ويسمع ويتأمل اكثر . فالطبيعة لا تفتح صدرها ولا تسلم كنوزها لمن اغمض عينيه وشغل عنها بهمومه واهتماماته ... انها تعطينا عندما نرهف حواسنا ونكون على استعداد للتجاوب النفسي والعقلي معها . يقول (جيته)« تاجها الحب فبالحب وحده يقترب المرء منها » ويقول « لا لغة لها ، ولا كلام عندها، ولكنها تخلق افئدة والسنة تشعر بها وتتكلم» فكم اعطت للعلماء من اسرار وكم من احساسات وبوارق وخوالج بعثت بها الى ارواح الشعراء والفنانين وكم من تشبيهات وخيالات استمدوها منها !

والعالم والشاعر والفنان لا يستهويهم ظاهرها المادي فقط ، حبهم لها لا توحي به العين فقط ، انهم يغوصون في اعماقها .. يتغلغل العالم فيها فكريا ليصل الى سر من اسرارها ، والفنان ينفذ الى اغوارها ببصيرته الملهمة .

الطبيعة هي الكتاب العظيم الذي خطه الخالق ، فيها كل اعماله فوقنا وتحتنا وبجوارنا وداخل نفوسنا ،والكثير الذي لا يحصى من صفحاتها ينتظر عباقرة القراء في كل العصور .

والكلام عن الناس والطبيعة يسوقني الى الحديث عن الاسفار والرحلات .. وادب الرحلات ادب طريف .. وكاتب الرحلات عين من لا تسمح له الظروف برؤية العالم والتجول فيه .. وللسفر اثره الكبير في انفتاح الانسان وتطوير فكره واسلوب حياته .. وخير للقارىء الاديب ان يسافر فان قراءته عن العالم لا تعطي له الانطباعات الحية النابضة التي تكون له في الرحلات التي يقوم بها . انه في زياراته لاكبر عدد من الدول يرى جديدا ويلقح افكاره بثمار اخرى لا يمكن ان يجدها حية نابضة في احدث واقيم كتب الرحلات لان من يرى بعين غيره ليس كمن يرى بعينيه .

ليس هذا هو كل ما اريد ان اقوله في هذا الموضوع فان الحديث فيه طويل ويبدو بلا نهاية ... ولا بد لي من

الوتر القدسي

ما كان للفجر ان يجتاحه الغسق ... فكيف ، بعد لقاء العمر ، نفترق
كنارك الصادح الفريد ، ما سكتت ... نشوى قوافيه ، لكن كاد يختنق
وكنت عودته يشدو بلا حذر ... كأن كل هوى ، في جفنه ، ألق
حتى غدوت له ذكرى يسامرها ... في وحدةزادها : الاشواق والحرق
اطعمت عينيه من سهد ومن ارق ... اليس عندك الا السهد والارق

قفي ، فان خطى الازمان قد وقفت ... لعل ينجاب عن اهدابك القلق
هل كان ((نيساننا)) ايماءة عبرت ؟ ... هل كان غيمة صيف ضمها افق
ام كان ((نيسان))فوق الحرف نكتبه ... وكان فوق جبين النجم يأتلق

قفي ،فلست بلا ماض ،ولست بلا ... ماض ، وليس لنا في الحب منزلق
ايقظت بعض شموخي،طرت بي زمنا ... على جناح ، من الاحلام ، يصطفق
نسلت حبك من وجدي ومن رمقي ... فكيف تحيين ، لا وجد ولا رمق

وقيل،او قلت ـ لا ادري وقد عصفت ... بي الظنون : نأى بالرقة النزق
وما سألتك عهدا زئبقي هوى ... ولا بثثتك عهدا ليس يتسق
وليس اوجع في قلبي ، وفي خلقي ... اذا تبدل منك القلب والخلق

يا اطيب الناس ، يا انداهم حلما ... من بعدك الناس ،ان بادوا وان خلقوا
ما هم ان صمتوا،دهرا ، وان نطقوا ... فكيف ان نعبوا ، يوما ، وان نعقوا
ان ينقلوا الخطو من ظلم الى ظلم ... فنحن في الحب ، لا تكبو بنا طرق
نهيم بالنور ، نستجديه يحرقنا ... ان الفراشة في الاضواء تحترق

قفي ! وقفت عليك العمر ، انثره ... شعرا ترقرق فيه الصفو والرنق
غنيت اشرف الحاني ، فكل سنا ... اضحى من الوتر القدسي ينبثق
فما ندمت ، وقد حطمت لي وتري ... يوم التفت ، فلا زهر ، ولا عبق
ما كان للفجر ان يجتاحه غسق ... وبعد لم يرتسم ، في افقه شفق

فوزي عطوي

كلمة مهمة اقولها في الختام .. لا جدوى من كل ما يكتبه حملة الاقلام ان لم تجد كتاباتهم آذانا صاغية وقلوبا تنزل فيها وتسري فيها مسرى الدم .. انني كقارىء اقدر كل من يفتح عيني وفكري وقلبي على قيم وافكار جديدة .. انني اتناول زادي الفكري بنهم وشوق اهضمه ويتحول الى عصارة تسري في كل كياني تغذيه وتبعث الحياة فيه وتقويه .. انني دائما اردد مع (جون ملتون) : « الكتاب الجيد مثل دم الحياة الثمين لارواح علوية ، محفوظ ومخبوء خصيصا من إجل حياة اخرى وراء الحياة العادية » وارى رأي (اناتول فرانس) في قوله : « الكتاب في نظري عمل من اعمال السحر ، تخرج منه اشباح وصور لتحرك كوامن النفوس وتغير القلوب » ... واقول مع (العقاد) الذي عبر بصدق عن اثر القراءة الواعية التي خلقت منه عملاقا في الادب العربي : « احب الكتب لان حياة واحدة لا تكفيني .. بزاد الفكر والشعور والخيال يستطيع الانسان ان يجمع الحيوات في عمر واحد ، ويستطيع ان يضاعف فكره وشعوره وخياله كما يتضاعف الشعور بالحب المتبادل وتتضاعف الصورة بين مرآتين».

القاهرة — **ايليا حليم حنا**

غـــروب

ميشــال مغربي

●

نشرت رايــة الاصيل لتطوى صفحــة اليــوم بعــد صفحــة امــس
انــه المــوت والحياة معا يــا شعــر ، فــي هيكل الوجــود القدسي

هــوذا جونــة الى خــدرهــا تدنو بــورد فــي وجنتيهــا وورس
حملتهـــا اليـــه اجنحـــة الجـن للقيا عريسهـــا الغير انســـي
فهــي في حلــة السرير وما ترقــى اليهــا الابصــار الا لتخســي
يــا لهــا مــن جنــازة لنهــار حــول تابوتــه مــواكــب عــرس

هــوذا الافق واجم لفــراق الشمس يخفــي الاسى ويبدي التأســي
رهــوة ، غضــة غمائمــه البيضــاء حتــى كأنهــا مــن بــرس
اجتليهـــا على تعدد اشكـــال كمـــا تنجلي لظنـــي وحــدسي
مــن خضــم امــواجه تتعالى بــين جــار مــن السفين ومــرسي
او قطــاع مــن الضئين بهــا الرعيــان تمضي الــى مــرابع غــرس
او جيوش تكــر اثر جيـــوش بقديم الســلاح : سيــف وتــرس
او قصــور شيدت عليهــا قصــور ثــم حالــت الــى طلــول درس
ايهـــا الافق ان لـــي انــا اقفــا فيه ما فيه مــن غمائم لبـــس
غيــر انــي لا اجتلــي فيــه الا ظلمــات يمــلأن وديــان يــأس

هــوذا الطيــر جد مسرعة تعلــو علــى الريــح في صفيــر وهمس
تتنــادى الــى الوكــون هــروبــا من ظــلام عمــا قليــل سيغسي
نهبــت يومهــا وليســت لهــا الايــام الا تعشــق وتحســـي
ليتنـــي مثلهــا خلــي ومــن الهــم لاخلــو الــى خيالــي وطرســي

يـا طيـور الفضـاء انـي لطيـر اغتـدي فـي بـرود ابناء جنسي
انـي يـا طيـور بالرغـم منـي مبـدل بالفضـاء ارضـي وحبي
ولقـد تعلمـين انـي وقـد جافيـت جنيتـي وكتبـي ودرسـي
(صنـت نفسي عمـا يدنس نفسي وترفعت عـن جـدا كل جبس)

هـوذا الراعـي عـائد مـن مراعي الريـف في خطوه الثقيل الدعس
نـافخ فـي مـزماره ، طافـح البشـر ، على وجهه شعـاع الانس
حولـه تسـرح الضئين ويشجيـه ثغـاء منهـا حنـون الجـرس
ايـن قـارون منـك يـا ايهـا الراعـي اذا عـدت في المساء بفلس
ايـن ايـن الملوك ، ايـن ذوو السلطان ، ايـن الغزاة اهـل البأس
انـت تمسي والبشـر يملأ برديـك لتمسـي حيـث السلامة تمسي
وهـم يجلسون تحـت سيوف قـد تدلـت وفـوق نيـران هجس
يـا سمـاء للابريـاء اعـد اللـه لا للطغـاة اهـل الـرجس
ليس فـي الارض مثل حـارس ضـأن بـك اهل ومثـل حامل فأس

هـوذا الليـل هـاجـم فـي سـواد واعتـداد هجوم فارس عبس
نـاشرا رايـة الكـآبة حتـى لادخـال الوجـود مـرآة نفسـي
ايهـا الليـل ان خلفـي ليلـي مـاشيـا للوثـوب مشيـة خلس
وسينقض بعد حين فـذرنـي اتناسـاه بعض حين . . . . . .
رب . . . . وان وحـدي مكـب علـى همـومي ونكسي
تمتلـي مـرة علـى اثـر اخـرى خشيـة . . . . . ان يعود لرأسي
عشـت عمـري ادعـو الجيـاع لـزادي وانـا جـائع ومني منسي
اتقصـى اصـوات غيـري وابقـى ضـائع الصوت بين صم وخرس

ايهـا الليـل ان امسـي ميـت وغـدي راقـد بتابـوت امسـي
عـن قريب تطـل شمسـك يا ليـل ، وامـا انـا فمـن لي بشمسي

سان باولو ــ البرازيل

ميشال مغربي



الدكتور محمد رجب البيومي

صاحب ذي الرمة

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الاستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض

• • •

يسمع الادباء كثيرا عن مية صاحبة ذي الرمة ، وربما اضافوا خرقاء وغلاب وزينب الى صويحباته ، فان شعره ناطق بهذه الاسماء ، كما يسمع الادباء عن اصحاب ذي الرمة الذين اهتموا برواية شعره ودراسته ونقده ، ومنهم ابو نصر احمد بن حاتم الباهلي ، وابو العباس بن الاحول ، ومحمد بن حبيب وابو سعيد السكري وابو العلاء المعري ، ثم زميلنا البحاثة الدكتور عبد القدوس ابو صالح الذي نخصه بهذا المقال ، وهو لتواضعه يأبى ان يقرن بهؤلاء ، ولكن الحق حق .

ولقد كان بيني وبين اخي عبد القدوس عتاب صامت ، لانه اهدى لي الديوان باجزائه الثلاثة الضخمة التي تبلغ (٢٢٦٧) صحيفة لا يخلو سطر واحد من سطورها من تحقيق لغوي او نحوي او تاريخي او ادبي ! وطال الامد علي دون ان اعلن رأيي فيه ، حتى ظن الصديق اني نسيت ذا الرمة فلم ادرجه بين زملائه الافذاذ ، ولو علم انني وقفت من انتاجه على شاطىء محيط زاخر يصطخب باللج ويمور بالاعاصير ، وليس لدي جلد على السبح الشاق في هذا الهول المخيف ، لو علم ذلك لعذرني ! فلست من اصحاب المعاناة والتأني ، وما انا الا قارىء عجول .

لقد بذل الدكتور في تحقيق ديوان ذي الرمة وشرحه للامام ابي نصر احمد بن حاتم الباهلي ما تنوء به العصبة او القوة ، وصرف من الجهد العقلي والجسمي والمالي ما سلخ من عمره سبع سنوات كلها عناء وسفر واجهاد واستنتاج ! وحسبك ان تعلم انه سافر الى تركيا وامضى صيفا كاملا في مكاتبها متسائلا عن مخطوطات الديوان ! ثم اتجه الى المدينة المنورة ، فقضى صيفا اخر وفي الصيف الثالث حث الركاب الى البصرة ليجد نخبة من المخطوطات لدى احد كبرائها ، فبذل جهده راجيا تصويرها ، دون ان يسمح له صاحبها حتى يتكلف الشعر فيمدحه بالبصرة بقصيدة يستدني بها نسخة الديوان ! والبصرة كانت موضع اماديح ذي الرمة حين كان يفد على اميرها بلال بن ابي بردة طالبا النوال ، فهل درى الشاعر ان بعد اثني عشر قرنا من مديحه ، سيقوم صاحب له ليمدح سيدا بصريا كي يحصل على شعر غيلان ! ثم اخذ عبد القدوس يجمع النسخ المختلفة من سورية والعراق والمغرب العربي ومصر وايطاليا وهولنده وانكلترا وروسيا حتى جمع ٤٣ ثلاثا واربعين مخطوطة ! اي عناء هذا ؟ ولو كان الامر امري ما انفقت هذا الجهد ! فثلاث مخطوطات تكفي اذا كانت كوامل ! ولكنه الحزم والعزم .

بعد هذا العناء الكارب ، يأتي امر التوثيق ، وذو الرمة رجل محظوظ جدا بين علماء اللغة والنحو والادب ، فصاحب اللسان يروي له (١٠٤٣) شاهدا ، وهو قدر لم يتح لكبار شعراء عصره من امثال الفرزدق والاخطل وجرير ، وصاحب التاج يروى له اكثر من (٩٠٠) بيت ، واصحاب المخصص والمحكم والصحاح ورجال البلدان والمعاجم الجغرافية ، واصحاب المؤلفات عن النبات والشجر والحيوان لا يتركونه ! اذ كان ذو الرمة الوصاف الاول للصحراء بما بها من اماكن وجبال ووحش وطير ونبات وآبار وعيون وسهوب ، وجن ايضا ! كل ذلك قد جاء بكثرة كاثرة في شعر ذي الرمة ، لان الشاعر كان لا يلتفت الى ممدوحه قدر ما يلتفت الى وصف اماكن ارتحاله ومرابع مغداه ومراحه وما يركب من حيوان ويرى من نبات فاكسب اللغويين والعلماء مادة ثجاجة لا ينضب لها معين ! بل ان ذلك وحده قد جنى على مادته الشعرية عند رجال الفن الخالص ، اذ اصبحت القصيدة من قصائده في رأيي الخاص تغني عن غيرها من الناحية الوجدانية والناحية التصويرية ! فكانت مدائح الرجل سلاسل متكررة مختلفة الالفاظ والبحور متفقة المعاني والاغراض! هذا في اكثرها لا في جميعها ! مع انه في باب النسيب الخالص كان مرشحا ان يبلغ مبلغ جميل وكثير وقيس لو خلص الى الاستماع الرقيق لهواتفه الوجدانية ، فقدمها وحدها في قصيدته غزلية عذراء ! ولكنه يفر سريعا من الغزل الى الرحلة والوحش والطير والهجير والصحراء ، فيرمي قارئه بغشاء ثقيل يحول دون استشفاق صورة حسه ! الا من له صبر

الدكتور عبد القدوس والدكتور محمد صبري السربوني (١) ، واين مثلاهما ؟

ان اكباب علماء اللغة والادب والبلاغة والنحو على شعر ذي الرمة ، جعل تعقب ابياته في امهات المراجع عملا مضنيا شاقا لا اجد شخصيا ما يبرره على هذه الصورة المستوفاة ، فيكفي لدي ان تكون القصيدة في الديوان ، وليس بلازم ان نتنطس هذا التنطس في البحث عن ابياتها في كل كتاب ، ولكن ما يكفي لدي لم يكن ليقنع زميلي الدكتور عبد القدوس ابا صالح فقد شمر ساعديه للبحث عن الشواهد في كل مجال ، حتى اصبح لا يترك بيتا واحدا دون ان يدل عليه في عشرات المراجع ، وقد اعد في الجزء الثالث فهرسا ضخما لهذا التوثيق اذ يذكر رقم كل بيت بعد ان يذكر عنوان القصيدة ثم يفيض في ذكر مراجعه على حدة حتى سود في ذلك فقط ما بين ص ١٩٢٧ الى ص ٢٠٦٨ ، والصفحة الواحدة تحوي اكثر من عشرين سطرا ، وكل سطر يحوي اكثر من اربعة مراجع ! فيا لله كم يقدر انسان على هذا العناء ! فاذا اردت مثالا واحدا لتوثيق بيت واحد ، فاني انقل اليك ما جاء عن اول بيت تعرض لتوثيقه دون اختيار ، وصبر جميل حين تضبط نفسك على القراءة .

يقول ذو الرمة :

ما بال عينك منها الماء ينسكب ... كأنه من كلى مفرية سرب

فاذا جئنا لنخرج هذا البيت وحده ص (١٩٢٧) فاننا نجد ما يأتي :

البيت : المقاييس ٣\١٥٥ — الجمهرة ١\٢٥٦ — اضداد ابن الانباري ١٥٨ — اضداد ابي الطيب ٥٦١ — مخطوطة المقتضب الورقة ١٦٧ \ الصناعتين ٤٣١ — الموشح للمرزباني ٧١ ، ٣٠٧ ، ٣٧٤ ، ٣٧٢ .

صدر البيت فقط الوفيات ٣\١٨٩ — الكامل\١١٩١ الرسالة الموضحة ٦٨\التشبيهات ٨٠. مقامات الهمزاني ١٩٣ الجامع الكبير ١٨٨ الخزانة ٢\٢٨٧ ، ٢\ ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ١\٥٣٠\ ثم في كتب اللغة التي يذكرها ، شرح الشريشي ٢\٦٣ عيار الشعر ١٩ ، ١٢٢ .

عجز البيت : الكامل ٨٣٢ نهاية الادب ٧\١٣٣ .

البيت ايضا : سر الفصاحة ٢١٥ \ الصاحبي ٢٤٥، ٢٤٦ ، فقه اللغة ٢١٦ ، سمط اللآلىء ٢\٨٦٩ — العمدة ١\٢٢٢ امالي المرتضى ١\٢٧٨ — الامالي ٢\٢٤٣ — نور القبس ٣٢ ، الاغاني ١٠\ ١٥٠ ، ١٥ \ ١٢٠ ، ١٦ \ ١٣٣ ١١٨ ، المزهر ١ \ ١٣٤ — الفائق ٢٣١ — الهفوات النادرة ٤٢ — الوساطة ١٥٧ ، الوافي ٥٨ ، التنبيهات ، ٢٣٩ ، ١٦٤، شواهد الكشاف ٨\الوساطة ٥٧.

فهذا بيت واحد ، احتاج الدكتور الى ان يتتبعه هذا التتبع ، واصحاب النشر العلمي يستحسنون ذلك ، ويرعونه ، ولعل الدكتور عبد القدوس وقد اعد الديوان بشرحه وتوثيقه ليكون رسالة للدكتوراه قد الزم ذلك فارضي من اعجبوا بصبره وجلده ودقة بحثه وعمق هدفه فمنحوه مرتبة الشرف الاولى عن جدارة دون شك ! ولكني انا وحدي ارى ذلك الجهد الجاهد عدا للرمال في الصحراء وليس لي ان الزم احدا برأيي ، لاسيما وعمل الدكتور منهج مثالي يحتذى .

وقد يظن بعض المتعجلين ان عمل الدكتور عمل ادبي خالص ! ولكني اراه جهدا علميا عنيفا ، حيث تولى تخريج ديوان جزل ، وتحقيق شرح دقيق ، ومحقق هذا الشرح لا بد ان يكون عالما كل العلم باللغة والنحو والبلاغة والعروض وفقه اللغة وسائر ما يمت الى عمله من علوم ! ومن يزعم من الادباء الخلص اليوم انه يسد هذا المسد دون دراسة موغلة في امهات هذه العلوم فانه يضل سواء السبيل لا محالة ، وقد كان للدكتور مع الشارحين تارة — اذ انه اضاف شرح ابي العباس الاحول في تتمات الجزء الثالث — مناقشات قوية ، تريك ان عمل المحقق الجديد بهذا الوصف لا ينشد نسخة صحيحة فقط بل يتولى تصويب ما وقع فيه المؤلف من هنات ، لذلك وجب ان يكون المحقق علميا في منزلة المؤلف ان لم يفقه ، وما اساء الى التراث غير نفر يظنون التحقيق نسخا ، فهو وراقة تنقل ما خط الى ما طبع دون بصر بمواضع الخطأ ! واعجب ما نراه من حظوظ الحياة ان هذه الوراقة النسخية هي التي تروج بين الناس ، اذ لا يثبت على صيال الآواء ، ومناقشة الاقوال غير الدراسين الفاقهين ! لذلك كان المحقق من هذا الطراز الجاد نقادة بحاثة نفاذا ، ولدينا منهم قلة قليلة هي في سبيلها الى الانزواء بعد ان اصبح كل وراق عاملا على نشر التراث حفيا به ، ولو كان حفيا به على وجه الاخلاص والصدق لتركه الى الفاقهين الاثبات .

اجل ، لقد تعرض الدكتور عبد القدوس ابو صالح الى مناقشات صارمة في ميادين اللغة والنحو والبيان ، وكنت اتابع نقاشه بعجب واعجاب ، وجعلت اضع علامة تعجب في هامش كل صفحة بها مثل هذا الجدال ، لارجع اليه في هذا الخضم الواسع دون ضلال ، وكانت النهاية عجيبة حقا ، لان اكثر صفحات الديوان باجزائه الثلاثة قد رزقت علامات التعجب هذه ، حتى تحيرت الان فيما استدل به ، اذ كيف اترك واتقي ، وقد تكاثرت الظباء على فراس ؟ واذا كان الديوان قد باشر طبعه واظهاره مجمع اللغة العربية بدمشق احتفاء بأثره ، واهتماما بقيمته فانه بهذا التتويج المجمعي بعد التتويج الجامعي قد وجد وسيلة الى الايدي المثقفة من افاضل الباحثين ، وهؤلاء يكتفون بالايجاز واللمح ، فلأقل لهم ان من بين المناقشات الجادة في مضمار النحو ما جاء

(١) الف الدكتور المؤرخ الاديب محمد صبري السربوني كتابا قيما عن ذي الرمة في مسلسلته المعروفة (بالشوامخ) .

في صفحـات ١٤ ، ١٣٠ ، ٥٧٨ ، ٧٧٩ ، ١٤٢٠ ، ١٥٣٥ ، ١٧٧٨ ، ومن بين التصويبات الجيدة تعليقا علـى هنـات الشارح في المتن الفوقي ما جاء في صفحـات ١١٥ ، ١٣٢ ، ٣٨٩ ، ١٤٥٦ ، ١٤٧٣ ، ١٤٨٤ ، ١٥٠٢ ، ١٥٧٥ ، ومن بين التحقيقات التاريخية واللغوية والعروضية والجغرافية ما جاء في صفحات ١٣٧ ، ١٩٥ ، ٢٥٩ ، ٤١٢ ، ٥٠١ ، ٦٩٥ ، ١١٧٦ ، ١١٩٨ ، ١٣٨٤ وانا هـنا امثـل دون استقصاء ، على اني سأستشهد لكل ضرب ، ليرى من ليس لديه نسخة من هذا الديوان الحافل كيف صبر الباحـث وصابر ، وبحث وتأمل حتى اهتدى الى الصميم مـن اللباب .

فمن مراجعاته الكثيرة التي لا حصر لها لابي نصر الباهلي ص ١٤٥٦ ما قاله الشارح تعليقا على قول ذي الرمة

ترى الثور يمشي راجعا من ضحائه ... بها مثل مشي الهبرزي المسرول

فقد قال الشارح : الهبرزي : الماضي على أمره ، والمسرول الذي اسفله يخالف سائر لونه كأن عليه سراويل .

وواضح ان شرح الهبرزي بهذا المعنى غير مناسب لان الشاعر يصف ثورا يمشي مزهوا في الضحى راعيا آكلا فكيف يكون ماضيا على أمره ؟ انما الهبرزي هنا هو الاسد اذا اعجبته قوته ولون فروته التي يتختر فيها ! وهذا مـا لحظه المحقق ، فلم يشأ ـ ادبا منه ـ ان يجاهر بتخطئة الشارح ، ولو فعل لما ليم ! وكـم خطأ البكري التـالي ! والمرضعي المبرد ! ولكنه يكتفي بنقد عبارة اللسان (انه اراد بالهبرزي الاسد وجعله مسرولا لكثرة قوائمه ويروي مثل مشي الهبرزي : يعني ملكا فارسيا أو دهقانا مـن دهاقينهم ، وجعله مسرولا لانه من لباسهم) .

٢ ـ ومن مراجعاته لابي نصر ايضا ما ذكره تعليقـا على قول الشاعر ص ١٤٧٣

تقـارب حتى يطمع التابع الصبـا ... وليست بادنـى مـن اياب المنخل

فقد قال الشارح : المنخل : رجل ذهب في الزمـن الاول يطلب قرظا ولم يرجع ! والامر غير ذلك فقد نقـل الدكتور عبد القدوس قول التاج (قال الاصمعي : المنخل رجل أرسل في حاجة فلم يرجع ، فصار مثلا في كل مـا لا يرجى) وفي مجمع الامثال (ويقال أيضا : لا آتيك حتـى يؤوب المنخل ، وكانت غيبته كغيبة القارظين غير أنها لم تكن بسبب القرظ) ويحسم الامر المحقق فيقول في أدب (وقد التبس الامر على أبي نصر بين مثل المنخل ، والمثل القائـل (لا آتيك حتى يؤوب القارظان) ثم يكتفي بهذا دون صخب

٣ ـ ومن تعليقاته في النحوص ٥٧٨ ما جاء تعليقا على قول الشاعر

وعينـان قـال اللـه كونـا فكانتا ... فعـولان بالالباب ما تفعل الخمر

حيث جاء في الهامش ما نصه (في مخطوطة المقتضب (كوني فكانتا) وهو غلط ، وفي معظم المصادر اشارة الـى روايتي الرفع والنصب في (فعولان (فالرفع على الاستئناف كأنه قال (هما مفعولان ، والنصب على أنهما خبر الكون ،

وجاء في مجالس ان خنرابه ، انه يجوز نصب فعولين على القطع ، أي الحال من فاعل كانتا على تمامها ، وفي الجمان: الرواية : فعولان بالرفع لا غير ، وقد انكر ذو الرمة على من خالف الرفع في خبرحكى عنه ، ثم نقل مجلسا جيداعن أمالي المرتضى ورجع كذلك للاغاني والخصائص وسرح العيون ! وكتب النحو تحفظ مما دار في ذلك الكثير .

٤ ـ والمثال النحوي الثاني ما جاء به تعليقا علـى تخطئة الاصمعي لقول ذي الرمة ص ٧٧٩

وقفنا فقلنا ايه عن ام سـالـم ... ومـا بـال بكلم الديـار البلاقع

حيث قال الاصمعي (أساء في قوله ايه بلا تنوين وكـان ينبغي ان يقول ايه عن أم سالم) ولكن المحقق يعارض ذلك بقوله (ذهب ابن السكيت وثعلب الى ان ذا الرمة لم ينون لانه بنى على الوقف ، وذهب الزجاج الى انه ترك التنويـن للضرورة ورد أبو علي الفارس قائلا : أما هذا الاصمعي مخطىء فيه ، وذو الرمة مصيب ، الى ان قال وهذا مـن اوابد الاصمعي ، وقال ابن جني : فاذا نونت وقلت ايـه فكأنك قلت : استزادة ، واذاقلت ايه فكأنك قلت الاستزادة واما من انكر البيت على ذي الرمة فكأنه خفي عليه هـذا الموضع ، وقال أيضا : والنحويون البصريون صوبوا ذاالرمة وأضاف ابن سيده قائلا (وانما استزاد ذو الرمة هذا الطلل حديثا معروفا ، كأنه قال : حدثنا الحديث ، او خبرنا الخبر الى انه انما طلب حديثا مخصوصا هو الحديث عن أم سالم قلت : ومن المتفق عليه عند النحاة ان (ايه) من أسمـاء الافعال التي تستعمل معرفة ونكرة ، وجعلوا تنوينها مـن قبيل تنوين التنكير ، انظر اصلاح المنطق ٢٩١ مجالس ثعلب ١ \ ٢٧٥ ، ارشاد الاديب ٣ \ ١٥ ، الخـزانـة ١٩\٣ ، ٢٨٣\٤ والصحاح والتاج في ايه ! ابعـد هـذا تنقيب !

و في التعليقات التاريخية أكتفي بهذا المثال :

جاء في ص ١٣٧ قال يمدح عبد العزيز بن مروان

خليلي عوجا عوجة ناقتيكمـا ... علـى طلل بين القرنية والحبل

فقال المحقق (يبدو ان في عبارة الاصل وهما مـن الشارح دفعته اليه كنية الممدوح (ابن ليلى) وهـي كنية مشتركة بين عبد العزيز بن مروان وابنه الخليفة عمر بـن عبد العزيز رضي الله عنه ، فقد ذكر الشاعر هـذه الكنية في البيت ٣٥ وفسرت بانها كنية عبد العزيز ظنـا انه هـو الممدوح بهذه القصيدة ، الا ان هذا الظن بعيد الاحتمـال ، وذلك لان عبد العزيز بن مروان توفي بمصر سنة ٨٥هـ في حين ان المصادر تكاد تجمع على ان ذا الرمة توفي سنـة ١١٧هـ وانه عاش نحوا من اربعين سنة اي انه كان صبيـا صغيرا حين وفاة عبد العزيز بن مروان في مصر ! وهـذا في رأيي يحسم النزاع ولكن المحقق يزيد عليه فيقول ولدينا ايضا مرجحان اخران ، اولهما ما جاء في شرح البيت ٣٤ من القصيدة حيث يصف ذو الرمة ممدوحه بانه منتهـى الحاجات ، ويفسرها المهلبي بانه يعني بذلك الخليفـة !

والمرجح الثاني ما جاء في مخطوطتي قد من ان ابن ليلى هو عمر بن عبد العزيز ، وقد دأب الشعراء على تكنية الخليفة بهذه الكنية التي كانت لابيه ، ومن ذلك قول جرير ، ديوانه ص ١١٧ .

اليك رحلت يا عمر بن ليلى   على ثقة ازورك واعتمادا

وقول الفرزدق ص ٦٢٩ من ديوانه :

اليك ابن ليلى يا بن ليلى تجاوزت   فلاة وداويا دفانا منساحلة

ثم اتبع ذلك بمراجع كثيرة تبلغ ثلاثة عشر مرجعا !

وقد جرت عادة المتحدثين عن الكتب العلمية والرسائل الجامعية ان يعقبوا العرض التقديمي بملحوظات قد تكون ثانوية هامشية وقد تكون اصيلة جوهرية ، وكتاب يجاوز الالفين من الصفحات لا بد ان تختلف الاراء في بعض ما يتضمن من الاقوال ، وقد عنت لي شبه يسيرة ، ليست شبها على التحديد ، ولكنها وجهات ثانية للراي احب ان اذيل بها هذا المقال ، ليعلم المؤلف الفاضل اني قرات كتابه من الفه الى يائه ، وقراءة كتاب مثل كتابه عمل مفيد حقا ، وشاق ايضا ، فلست مع الديوان ، في رحلة مؤنسة ، ولكن ارتاد طريقا كثير الوعور ، والحافظ الله ، وساقتصر على الجزء الثالث فهو اخر ما قرات ، وما علق بذهني نحوه حاضر عتيد ، على انها امور ترجع الى الذوق الشخصي فالامر فيها سهل رخاء .

١ ـ قال ذو الرمة يصف ظبية تنظر من بعيد الى ولدها وترمقه ص ١٦٧٤ :

حذارا على وسنان يصرعه الكرى   بكل مقيل عن ضعاف فواتر

وقال ابو حاتم في الشرح : اي نصت جيدها حذارا على وسنان ، اي ولدها في نعاسه ، يصرعه النوم وهو الكرى عن ضعاف اي قوائمه ، يقول : يصرعه النعاس عن قوائم ضعاف حين شدن :

والذي اراه ان النوم يصرعه عن جفون ضعاف لا تتحمل اليقظة بل تستسلم الى النوم بكل مقيل ! فالقوائم هنا لا محل لها ، والنقد موجه الى الشارح ! ولكن الدكتور قد فاته ان يبدي رايه .

٢ ـ نسبت هذه الابيات لذي الرمة ص ١٨٦٠.

دنوت وادناهن لي ان رأينني   اخذت العصا وابيض لون مسائحي
وقد كنت مما اعرف الوحي ماله   رسول سوى طرف العيون اللوامح
لئن سكنت لي الوحش يوما لطالما   ذعرت قلوب الانسات الملائح

وقد قال الدكتور في تعليقه (على ان الشك يكتنف نسبة هذه الابيات الى ذي الرمة لانه مات شابا ، ولم يبلغ به العمر ان ينوح على شبابه هذا النواح الذي لا يصدر الا عن شيخ طاعن في السن يدب على العصا ولا تخشى الوحش بأسه) وارتكاز الشك على هذه الناحية واه ضعيف ، لان الشريف الرضي مثلا قد ناح على شبابه منذ العشرين وملأ ديوانه ببكاء الشباب وقد مات في الخامسة والاربعين ! اما الضعف والعصا فقد يكونوان للمرض لا للهرم ، وقد قال المتنبي :

لقد بكيت على الشباب ولمي   مسودة ولماء وجهي رونق
حذرا عليه قبل فوات اوانه   حتى لكدت بماء عيني اشرق

٣ ـ وردت الابيات ص ١٩٢٠ في هجاء مي هكذا :

الا حبذا اهل الملا غير انه   اذا ذكرت مي فلا حبذا هيا
ايامي قد اشمت بي ويحك العدا   وقطعت حبلا كان يا مي باقيا
فيا مي لا مرجوع للوصل بيننا   ولكن هجرا بيننا وتلاقيا
على وجه مي مسحة من ملاحة   وتحت الثياب الخزي لو كان باديا
الم تر ان الماء يخبث طعمه   وان كان لون الماء ابيض صافيا

والبيت الثاني والبيت الثالث لا يمكن ان يدخلا بين هذا الهجاء المقذع ! فهما عتاب رقيق كله تحسر وتلهف على اللقاء فكيف يجتمعان مع الهجو والاقذاع ، وانا احفظ القصيدة منسوبة لغير ذي الرمة في ديوان الحماسة ، وليس فيها هذان البيتان الغريبان الناشزان ! وكان على المحقق ان يشر الى ذلك !

٤ ـ في صفحتي ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ توالت الابيات هكذا :

واذا قلت قلبي بارئي لبست به   سقاما مراض الطرف بيض السوالف
فما الشمس يوم الدجن والسعد جارها   بدت بين اعناق الغمام الصوائف
بعيدات مهوى كل قرط عقدنه   لطاف الخصور ، مشرفات الروادف
ولا مخرف فرد باعلى صريمة   تصدى لاحوى مدمع العين عاطف

وانا ارى ان مكان البيت الثالث هو مكان البيت الثاني ليستقيم المعنى مطردا دون نشاز !

٥ ـ القصائد والابيات التي يجزم المحقق ودارسو الادب بداهة انها ليست لذي الرمة ، لا ارى داعيا لذكرها مع المشكوك في نسبته ، فالقصيدة التي قالها البديع عنى لسان ذي الرمة ص ١٨٧٩ ومطلعها :

ايـن مية الطلل الـدارس   الظ بـه العاصف الرامس

لا تجد لها مكانا مقبولا في الديوان ، لانها منقولة من مقامات البديع ، فكيف تذكر هنا ؟ الان صاحب مواسم الادب اخطأ في نسبتها ، فاوجب خطؤه البديهي ان تذكر مع المشكوكات ؟ ومثلها ما اجمعت المصادر على نسبته لكثير وغيره لان خطأ بعض النقلة ، لا اعتبار له بحال !

وبعد ، فقد طوفت في هذا الخضم الواسع ما طوفت ثم احسست اني لم اقل شيئا بعد ان سودت ما سودت ، فانا مع هذا العمل الرائع المجيد الذي نهض به صديقي الاستاذ الدكتور عبد القدوس ابو صالح قد صرت كما قال ذو الرمة ص ١٨٥٤ :

ومهمة فيه السراب يلمح   يداب فيه القوم حتى يطلحوا
ثم يظلون كان لم يبرحوا   كانما امسوا بحيث اصبحوا

الرياض ـ كلية اللغة العربية   محمد رجب البيومي

عوامل شهرة «مي»

بقلم روز غريب

•••

تمتعت مي (١) زيادة في حياتها بشهرة واسعة وشعبية كبيرة ، لم تحرزهما اية اديبة في عصرها ولا بعده . فقد ام صالتها الادبية كبار الادباء من مصريين ، ومن لبنانيين متمصرين ، وراسلها مشاهير الكتاب في مصر وخارجها . أهداها طاغور احدى قصائده . راسلها جبران من اميركا ، وكاظم الدجيلي من العراق . وكان ولي الدين يكن يوقع رسائله اليها بعبارة « خادمك المطيع »

لكن شهرة مي لم تقم على ما اكتسبته من مناصرة الاصدقاء وتأييد المعجبين ، بل كان لها أساس من الجدارة والتفوق ، لا يحتمل النقض ولا المناقشة .

كانت في عصرها (١٨٨٥ — ١٩٤١) اول كاتبة عربية تمكنت من اتقان الثقافتين الغربية والعربية . في معهد عينطوره الفرنسي ، درست اللاتينية كوسيلة للتعمق في الفرنسية . بلغت معرفتها للفرنسية والانكليزية درجة من الاتقان جعلتها تكتب في الاولى شعرا جيدا ورسائل انيقة ، وفي الثانية تحبر خطبا بارعة الاسلوب . حذقت الايطالية والالمانية حتى ترجمت عنهما وتكلمت الاولى بطلاقة . في مصر ، توفرت على درس العربية حتى استطاعت ان تكتب بعبارة صافية ، متينة ، فيها جزالة القديم وأناقته ، ورشاقة الحديث وافتنانه ، فكان اسلوبها مظهرا لحسن الذوق ، والتجديد البعيد عن التطرف والتكلف ، ولهذا يمكن ان نعده كلاسيكيا او نيو كلاسيكي .

كانت اول فتاة عربية دخلت الجامعة المصرية ، وتلمذت لكبار اساتذة العربية وبعض أعلام المستشرقين . فحصلت على ثقافة جامعية رفيعة ، زيادة على معرفتها اللغات المختلفة ، واتقانها لاصول الموسيقى والغناء . فظهر تأثير ثقافتها الشاملة ، المتعددة الجوانب ، في انتاجها الادبي وفي اسلوبها .

حين تقرأ مقالاتها ، لا بد ان تلاحظ سعة اطلاعها على مفردات اللغة ، قديمها وحديثها ، وقدرتها على التصرف في الالفاظ واختيار الكلمة المناسبة والسائغة ، الى جانب افتنانها في رصف العبارة وهندستها . كذلك تلاحظ اتساع أفقها وحسن اطلاعها على آدب الامم والعلوم العامة ، كالفلك والتاريخ والميثولوجيا ، في مقالات غنية بالاقتباسات والاشارات ، نظير « نشيد نهر الصفا » ، « عند قدمي ابي الهول » ، « كن سعيدا » . وفي أبحاثها حول «المساواة» ونقدها لباحثة البادية وعائشة التيمورية ، دلائل حذقها لأصول البحث والنقد .

في خطبة « وداع الاستاذين » من « كلمات واشارات» تستهل كلامها بحديث طريف عن « الشلياق » وهو «الصورة الفلكية التي اجمل نجومها النسر الواقع » فتقول : «وجد علماء الفلك ان جميع الكواكب المنظورة تندفع نحوه وهو لبعده الشاسع لا ينتهي اليه نظامنا الشمسي الا بعد ملايين الدهور » .

وفي مقالة عنوانها « في عالم الالحان » ، بحث مطول تقارن فيه بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية مقارنة تدل على خبرة نظرية وعملية في الموضوع . وفي « معرض الصور المصري » تجول جولة موفقة في ميدان النقد الفني .

لكن الثقافة الواسعة وحدها لا تصنع الاديب ما لم يكن ذا موهبة أصيلة . والموهبة هي القدرة على الابتكار في اللفظ ، في الاسلوب ، في الصور وفي المعاني الجزئية المستلهمة من موضوع عام . وقد اوتيت مي من قوة الخلق قسطا وفيرا ، ففي انتاجها ما يدل على براعة في تصريف الكلام واجادة في التنسيق ، فضلا عن تدفق القريحة واتساع الخيال . خذ مثلا مقالة : « السهرات الراقصات» (ظلمات وأشعة ص ٨١) وانظر ما أوحى به اليها هذا المألوف من صور طريفة وأوصاف ممتعة ، ثم لاحظ كيف استخرجت منه في الخاتمة فكرة عميقة تثير فكر القارىء ويحار في تفسيرها .

من مظاهر حسن الذوق في انتاجها ، انها لم تلتزم فيه اسلوبا واحدا ، بل راعت في عبارتها مقتضى الحال . فأسلوبها خطابي في المواقف الخطابية ، علمي صريح في مقالات البحث والنقد ، صحفي مجدد في اخبار الرحلات والمناقشات الصحفية ، شعري يفيض روعة وموسيقية في « ابتسامات ودموع » . وقد اشار بعض الباحثين الى روح الكآبة المسيطرة على كتاباتها . الا ان هذه الصفة لا تظهر الا في مقالاتها الوجدانية التي يضمها كتاب « ظلمات واشعة » . اما باقي كتبها ، ومعظمها يعالج موضوعات اجتماعية ونقدية ، فنتبين فيها روح المرح والظرف وحب النكتة .

كان نشاطها الادبي ، حتى سني محنتها (١٩٣٥ — ١٩٤١) ، غزيرا ، مستمرا ، منوعا . نشرت مقالاتها في كبريات الصحف والمجلات المصرية ، انشأت صالتها الادبية المشهورة ، برعت في الخطابة فاجتذبت الالوف لسماعها ، أبدعت في ترجمة « ابتسامات ودموع » ، عالجت شتى الموضوعات من اجتماعية نسائية وادبية لغوية ، اجادت النقد الادبي ، مارست النثر الشعري فانتجت

(١) بمناسبة اعادة نشر مؤلفاتها كاملة .

مشهد من مسرحية ديوجين

في شارع من شوارع اثينا يقف مسليوس وزينو.

مسليوس :

(زينو) أكلمت (الحكيم) (١) ... وهل وقعت على الدواء
الشعب من حذر المغير ... يغص بالداء العياء
أوليس من امل ، لحسم ... الداء او دفع البلاء
ام ان داء الذل لا ... يشفى على كر البقاء

زينو بالم :

جئت (الحكيم) وما وقعت ... على الحكيم ولا انـدواء
ذهب الحكيم مسائلا ... ومنقبا دون الفضاء
يستخبر الدنيا عن ... الانسان همسا من حياء
ويعود ينفض باليدين ... بغير جدوى من عياء
المرء سر غامض ... كالليل غورا في الخفاء
وفؤاده الشيء العجيب ... المستجد على البقاء
تتزاحم الاضداد والاشباه ... فيه عن عداء
فتراه ، يسمو بالمشاعر ... والشعور الى السماء
وتراه احيانا يسف ... الى حضيض كالفشاء
ما كان اعجب ما يضم ... القلب من صور الشقاء

مسليوس :

المرء في دنياه كان ... ولم يزل هدف العذاب
آلامه لا تنتهي ... يوما وتزخر كالعباب
يسعى ويكدح يومه ... عبثا ويطرق كل باب
ويعود آخر يومه ... واليأس يقطع بالرقاب
وارى السعادة من خداع ... الوهم ضربا من سراب
كيف السبيل الى السعادة ... والمآل الى تراب
واظل اسأل جاهدا ... نفسي واعيا بالجواب
واروح اضرب في غمار ... من شكوك وارتياب
حتى اعود وما جنيت ... من السؤال سوى العذاب

دمشق ... عدنان مردم بك

١ ـ الحكيم : هوديوجين

فيه قطعا ذات قيمة خالدة ، رسائلها الى اصدقائها وصديقاتها نماذج من النثر البليغ .

ومع ان حياتها الادبية كانت قصيرة ـ نسبيا ـ بلغ عدد كتبها المنشورة اثني عشر ، عدا الكتب المترجمة.

ونحن اذ نقرأ اليوم آثارها بلذة واعجاب ، لا يسعنا الا الاقرار بانه رغم انتشار الثقافة الجامعية بين فتيات اليوم ، وتكاثر حاملات الاقلام ، فان قليلات جدا منهن أتيح لهن ما اتيح لي من ثقافة شاملة عميقة ، صقلها الاحتكاك بكبار الادباء وقارنتها موهبة فذة ، وقدرة تعبيرية فائقة ، ضمنت لاثارها الخلود .

الدامور ـ لبنان ... روز غريب

ما وافت الساعة التاسعة والنصف صباحا حتى فرغ الكوافير من تصفيف شعر صباح التي بكرت في الحضور اليه في مطلع هذا النهار. لقد تجلى فنه في التسريحة الجديدة التي ابتكرها فبدت تاجا جميلا يزين راسها .

أسرعت عائدة الى المنزل حتى لا تفوتها المكالمة التليفونية .

ان الاتصالات عبر أسلاك التليفون ظلت متصلة بينها وبين فوزي طوال أسبوع حرصت فيه ان تكسبه ثانية بعد ان اوشكت ان تفقده الى الابد.. هذا الانسان الطيب النقي السريرة. انه بطل لم تفهمه على حقيقته وهي الان ترغبه بكل جوارحها .

وها هي ذي ترفع السماعة وتدير القرص ولم يلبث صوته ان جاءها رفيقا حانيا ..

ــ آلــو !

ــ صباح الخير يا استاذ فوزي .

ــ أسعد الله صباحك يا صباح.

ثم تنهد وقال :

ــ انني أشكر الظروف السعيدة.. كما انا مدين لاخطاء التليفونات تلك التي عرفتني بصاحبة أجمل صوت سمعته في حياتي .

فقالت له في دلال :

ــ لا تبالغ .. يبدو انك مجامل الى أبعد الحدود .

ــ كلا .. انها الحقيقة .

ثم استطرد قائلا :

ــ ما اعذب صوتك .. انه كرنين اجراس من البلور .. استمتعت به طوال الاسبوع الماضي.

ــ يا عيني على التعبيرات الجميلة! حضرتك شاعر ؟ !

ــ اسمعي يا ست الكل .. ان اجازتي مدتها أسبوع وسأعود غدا الى الجبهة .

ــ لماذا ؟! الم يتوقف اطلاق النار وانسحب الاسرائيليون الى عمق سيناء ؟ !

ــ وهل هذا يعني انتهاء الحرب..

انها مستمرة حتى يطرد آخر جندي اسرائيلي من الوطن العربي ويعود الحق لاصحابه الفلسطينيين .

فقالت له ضاحكة :

ــ ولكن مهمتك انت بالذات قد انتهت .

ــ كيف ؟!

ــ ألم تخبرني انك كيميائي وانك كنت في أوائل الجنود الذين عبروا قناة السويس قبل السادس من اكتوبر .. وبالتحديد في الثامنة من مساء الخامس من اكتوبر لقطع خراطيم النابالم وقمتم بسدها بعجينة كيميائية خاصة .. فما حاجتهم اليك الان ؟

ــ انني ما زلت جنديا تحت السلاح



بقلم غبريال وهبه

رهن اشارة قائدنا الاعلى.. فمعركتنا مع العدو ما زالت قائمة .

ــ انك لم تذكر لي تركيب العجينة الكيميائية .. هل انت الذي ابتكرتها؟

ــ ان ذلك من الاسرار الحربية .

ــ لا يا سيدي .. لا أريد ان أعرف هذه الاسرار .. ولكن أتعرف أسرار النابالم ؟ اهو سائل ؟

ــ ان النابالم يتكون اساسيا من البنزين وتضاف اليه استيارات الالومنيوم ليصبح مادة هلامية كالجيلاتين .

ــ ولكن كيف يشتعل النابالم فوق



سطح الماء ، بينما المفروض ان ينطفىء في هذه الحالة ؟

ــ كلا يا عزيزتي .. فقد اضافوا اليه سبيكة من الصوديوم والبوتاسيوم وهي من المعادن التي تتفاعل مع الماء فينتج الهيدروجين وهو غاز قابل للاشتعال .

ــ وكيف يشعلونه ؟

ــ انه يشتعل من الحرارة الشديدة التي تنبعث من التفاعل فيلتهب النابالم .

مرت لحظة سكون ثم استأنف حديثه قائلا :

ــ وكانت هناك أزرار يكفي الضغط على أحدها بالاصبع ليتدفق النابالم من الخزانات الضخمة فيغطي صفحة القناة ، ويحول مياهها الى سعير من الجحيم .

ثم اردف قائلا :

ــ ولاطالة مدة الاشتعال اضافوا نسبة صغيرة من الاسفلت او البلاستيك .

واضاف قائلا بتؤدة :

ــ وهكذا فضلنا تجريد العدو من هذا السلاح قبل ان يستعمله.

وسمعها تضحك جذلة فقال لها :

ــ ان ماقلته ليس بنكتة ..وأقصد اننا فضلنا ما فعلناه عن ان ننتظر تلك النيران السابحة ثم نقوم باطفائها.. وكان ذلك سيستغرق وقتا يعيق قواتنا عن العبور في ميعادها المحدد.

تنحنح ثم قال :

ــ لقد قلت لك انني عائد في الغد الى الجبهة فهل لي ان اسألك سؤالا متواضعا .

ــ تفضل .

ــ أريد ان القاك اليوم .. وقد سبق ان طلبت منك ذلك فوعدتني بأنك ستفكرين في الامر .. فماقولك؟

ــ انني موافقة .

انبسطت اساريره وقال في فرح: اتقابلينني في جروبي ؟

ــ كلا .. اريد مكانا مزدحما .. وليكن معرض الغنائم حتى لا أتعرض لفضول رواد جروبي .

ـ وكيف سأعرفك وسط هذه الامواج من البشر ؟

ـ سأرفع زهرة من زهور القرنفل في يدي عاليا وسط الزحام .

ـ هذا لا يكفي .. وسنتوه وسط هذا الطوفان .

ـ هناك اقسام عديدة في هذا المعرض ، فهو تسجيل حي لحرب اكتوبر .. فاختر ما شئت .. اي جناح انتظرك عنده : المدرعات ؟

ـ . . . . .

ـ المدفعية ؟

ـ . . . . .

ـ الذخيرة ؟

ـ . . . . .

ـ معدات الاشارة ؟

ـ . . . . .

ـ القوات الجوية ؟

ـ . . . . .

ـ المهندسين ؟

ـ . . . . .

ـ المخابرات والاستطلاع ؟

ـ . . . . .

ـ قوات الدفاع الجوي ؟

ـ نعم ليكن لقاؤنا اذن في جناح قوات الدفاع الجوي .. امام حطام طائرات العدو من الفانتوم وسكاي هوك والميراج والاستطلاع الالكترونية واستطرد قائلا :

ـ يا عزيزتي .. ولو ان الحظ لم يسعدني برؤيتك من قبل .. الا انني أعتبر نفسي قد التقيت بك منذ ان عرفت روحك من خلال الحبل .

فقالت له باندهاش :

ـ اي حبل ؟!

ـ حبل الياسمين الذي يصل بيني وبينك . لا شك انك فاتنة وسأظل اراك جميلة دائما .

ثم استدرك قائلا :

ـ ومع كل فقد أصبح المظهر الخارجي لا يهمني .. فبعد المأساة التي مررت بها في حياتي الخاصة لم اعد اهتم الا بالروح .. بالجوهر ..

فقالت في الم :

ـ ترى عن اي مأساة تتحدث ؟

ـ قد اقصها عليك عندما نلتقي .. اتحبين ان يكون لقاؤنا في الحادية عشرة والنصف هذا الصباح .

ـ لا مانع .. والى اللقاء .

ـ شكرا .. والى اللقاء يا أنبل من عرفت .

★

وقفت صباح امام المرآة بعد ان ارتدت أبهى حللها وانهمكت في وضع الماكياج واللمسات الاخيرة على وجهها لتبدو في اوج جمالها . ثم انسلت خارجة من المنزل ولاقت الامرين حتى وقفت الى تاكسي يرضى ان يوصلها

غبريال وهبه

الى المعرض وهناك اسرعت بمغادرة العربة ونقدت السائق اجرته بعد ان نفحته بقشيشا سخيا .

قطعت تذكرة دخول ، وبرغم أنه كان أمامها فسحة من الوقت على الميعاد ، الا انها بدت كأنها تقفز مسرعة وسط الجموع الحاشدة وقلبها يخفق بين ضلوعها فبعث الدفء في اوصالها وهي تشق طريقها حتى وجدت مكانا لقدميها امام حطام طائرات السلاح الجوي الاسرائيلي. وهناك فقط استطاعت ان تسترد رباطة جأشها ، وكان اول ما فعلته هو الاطمئنان على زهرة القرنفل التي تزين سترتها . انها العلامة المتفق عليها! امتدت يدها دفعة واحدة الى الزهرة ورفعتها الى ما فوق رأسها . وكأنها ترفع قلبها الاحمر القاني فوق صارية علم . رسمت هذه الفكرة شبح ابتسامة فوق شفتيها .

لقد بدأت تحس بالغيرة .. لاريب ان فوزي أحب فيها الغموض الذي يكتنفها كامرأة يريد كشف مجاهلها. ثم عادت وتمتمت لنفسها :

ـ ولكنه قال ان المظهر الخارجي لا يهمه فهو يهتم بالروح .. بالجوهر. فلا معنى لغيرتي اذن .

رفعت الزهرة الى مستوى أعلى. وما ان فعلت ذلك حتى مرت بها لحظة خاطفة حدثتها فيها نفسها ان تخفض يدها وتختفي الى الابد . ولكن الوقت لم يسعفها لتستسلم لترددها ، فقد شاهدته .. وقد بدا عملاقا في ردائه العسكري ، وراح يحملق في عيون الاخرين ، ولم تلبث ان احست به يلمحها عندما رآته يندفع تجاهها فخفضت رأسها بحركة غريزية .

عندما وقف قبالتها تركت ذراعها يهبط ببطء ورفعت وجهها اليه ، فندت منه آهة اختلط في طياتها ما اعتراه من ذهول وغيظ ممزوج بالفرح .. وخطا الى الوراء خطوة وشت بما اعتراه من غضب عندما ارتد فجأة الى الماضي الذي اراد ان ينبذه ويقصيه عن أفكاره . ولكن سرعان ما انفثأ غضبه واستعاد توازنه وخاصة عندما تذكر الخطاب الذي بعث به اليه محاميه ينبؤه بأن زوجته قد تنازلت في المحكمة عن حقها في النفقة تقديرا للدور الذي قام به زوجها في المعركة .. وهاهو ذا يحتوي يديها بيديه بينما تساقطت اوراق الزهرة فوق الايدي الاربعة المتشابكة تثري نغم حياتهما في المستقبل بأريجها الزكي .

القاهرة — غبريال وهبه

يا حلوة الروح

●

يا حلوة الروح والعينين ما برحت   على شفاهي من عينيك آثار
اهفو اليك على بعد ، ويحملني   الى جوارك شوق برده نار
منذ افترقنا وقلبي لا عزاء له   يا عام فرقتها هل انت ادهار
تصرمت بيننا الاسباب وانقطعت   رسائل تحمل السلوى ، واخبار
ابش للناس زورا في مجالسهم   فان خلوت بنفسي كدت انهار
ضاقت بي الدار واعتلت بشاشتها   لولا غيابك ما ضاقت بي الدار
كل الملاح دمى – الاك – في نظري   ما حيلتي في الهوى والقلب يختار
قارورة انت من عطر ومن عبق   استغفر الله ، هل ... عطار
داريت اهلك اكراما لحلوتهم   ما كان اكرمهم لو انهم داروا
ان كافاوني على فضل بسيئة   فان اشواكهم في النفس ازهار
اني انزههم عن كل شائبة   وادعي انهم اهلي وان جاروا
هل تذكرين وراء النهر خلوتنا   طيفين ينضحنا بالطيب ايار
يمشي ادونيس في بردي منتفخا   زهوا وتختال في برديك عشتار
نغوص في الليل يطوينا بجبته   كأننا في ضمير الليل اسرار
للزهر من حولنا غمز ووشوشة   وللنسائم جولات واسفار
لا ثغرك العذب ممنوع علي ولا   يرد .... انذار
نغفو ونصحو على آه وقافية   فليلنا قبل حرى واشعار
ليت الذين تمادوا في ملامتنا   يدرون ان عبيد الحب احرار
تلك البريهات – رد الله غربتها   على ذنوب ليالي الشؤم اعذار

يا حلوة الروح يا شامية نثرت   في دربك الغار ، يفدي نعلك الغار
الهمتني من مجاني عبقر دررا   يكاد يحسدها في الخلد بشار
ماذا ازيد على ما قلت فيك وما   كتمت عنك وما غنته اوتار
تفاح لبنان من خديك نكهته   كيف السبيل الى خديك اشتار
هيهات ، لم يبق في الافاق بارقة   تغرى بها النفس او تغتر ابصار
قضى الزمان بان نهوى بلا امل   فهل يرد قضاء الله اصرار
لذائذ العمر ولت لا رجوع لها   وما تبقى فيها غلواء اكدار

بوانس ايرس   زكي قنصل

اضواء من الشعر

بقلم ابراهيم المصري

تنتاب المرء في بعض الاحيان ازمات نفسية مفاجئة، تهزأ بالعقل وتطغى على الفكر المجرد، ولا تجد منصرفا لها الا في التعبير الشعري. وقد استبدت بي هذه الازمات فترة، فمضيت اصور ما اوحته الي من انفعالات واخيلة في هذه المقطعات الشعرية المنثورة التي اطلعت عليها بعض النوابغ من ادبائنا دون ان اصارحهم بانها من عملي. فلما راقت لهم واصروا على نشرها، بعثت بها الى «الاديب».

حلم الابد

قلت للناس :انا الحب المستبدالغاشم القاسي. انا الضحك والبكاء،الخير والشر، الماء والدم، الحياة والموت، فلم يصدقوني. وها هم يتقاطرون علي ويصيحون بي: لا .. انت السماء، انت النعيم، انت ملك الرحمة الذي اختطف الجنة وقدمها هدية لاهل الارض!

وانا اسمعهم واضحك. اماالئهم واضرب. اغافلهم واقتل، وهم في غمرة حلمهم وجنونهم، لا يشعرون ولا يفقهون. ماذا افعل كي انبههم. ماذا افعل كي احذرهم. قلوبهم تحترق ومع ذلك تصبو الي. دموعهم تنهمر ومع ذلك تغسل يدي. دماؤهم تسيل ومع ذلك ترتفع قربانا الي.

في سبيل فترة من لذتي يستعذبون الالم، وفي سبيل فترة من نعمتي يستمرئون النقم، وفي سبيل لحظة من وهمي يقبلون فمي وهو يخدعهم ويقذف في وجوههم الحمم.

ماذا افعل بهم. انا مشفق عليهم. اريد ان امنحهم كل امل محقق، كل حظ موطد. كل سعادة خالصة لا تشوبها شائبة من هم او عذاب.

ولكن امثل هذه السعادة ترضيهم، وهل تراهم يسبحون بحمدي اذا ما وهبتها لهم ؟..

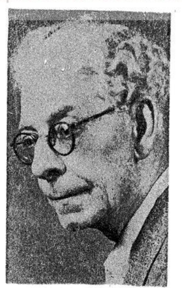
انا اعرفهم ... لو منحتهم الكمال لاشتاقوا الى النقص. ولو وهبتهم الراحة لاشتاقوا الى العناء. ولو اعطيتهم السعادة لهرعوا الى الشقاء، الى مرارة النفس وتعاسة القلب وشهوة الدموع.

اذن لاحتفظ بجمودي الرائع المهيب ولاصمت.

وما دمت متربعا على عرشي،قابضا بيدي على صولجاني، فسيقدسني كل قلب في الوجود، وسأظل انا، انا الحب، الحب القادر الخالد الذي لا يضعف ولا يرحم ولا يموت!

مولد الفراشة

عندما ولدت الفراشة واقبلت على هذه الدنيا، روعت الكائنات جميعا، واصابها من فرط الذهول شبه خبال.


ابراهيم المصري

قالت الارض وهي ترتعش: ان هذه الفراشة جوهرة نادرة تعلقت باجنحة.

وقالت الشمس وهي تتقد: كلا ... انها شعاع غافلني وافلت مني في ساعة ضجر وطيش.

وقالت السحابة وهي تبتسم: ابدا ... الفراشة نثير عجيب من قوس قزح.

وقال العصفور وهو يضحك: محال ... انها نبرة من صوتي انا ..

وعندئذ قالت الزهرة وهي تترنح: انتم مجانين ... الفراشة هي الريح والهوس والجنون ... هي المرأة ... الا تنظرون الى الوانها كيف تتبدل وتتحول في اللحظة الف مرة، والى روحها كيف لا تنفك تترامى بها على النار ؟!..

فوجمت الكائنات وبهتت.

ومنذ ذلك اليوم اختلطت عليها الاشياء والاشخاص ولم تعد تفرق بين الفراشة والمرأة!

نجمة واحدة

في ليالي الصيف الزرقاء تسكب على صفحة السماء آنية كبيرة ملأى بالنجوم.

وها هي ذي النجوم تنبثق وتتناثر في القبة الساحرة، وانا احدق اليها ذاهلا ومحيرا، ابحث بينها عن نجمتي ...

كل النجوم تألقت وتوهجت ما خلا النجمة السالبة فكري

كل النجوم توزعت على الناس ما خلا النجمة التي ينشدها قلبي.

كل النجوم عانت احبابها ما خلا النجمة التي تشتهيها روحي.

اني لأتبرم بكل هذه النجوم واهتف: اكان من العسير ان تملأ السماء بنجمة واحدة ؟! ..

نشيد العاشقة

منذ ان عرفتك يا حبيبي عرفت

نفسي . كانت روحي غريبة عني ، وكنت انظر الى قلبي كما ينظر الانسان الى عالم مغلق مجهول .

وفجأة اشرق عقلي . خفق قلبي. علمتني عيناك كيف اصلي وابكي ، فأحببتك يا حبيبي كما احب ذاتي ونفسي .

ليتني كنت ثمرة صغيرة لاذوب في فمك .

ليتني كنت زهرة صغيرة لاعطر روحك . ليتني كنت شهدا للسانك، ودما لقلبك ، وماء قراحا تغتسل فيه الى الابد قدماك .

اني لاود ان اكون الشجرة القائمة تجاه بيتك .

اود ان اكون غصنا من الشجرة او ورقة من الغصن ، او ظلا من الورقة، كي اتسلل اليك في رائعة النهار يا حبيبي ، واداعب خدك الناعم الرقيق ولو لحظة .

لقد تقنعت بسبعة اقنعة يا حبيبي ، لتستطيع ان تكشف عن محاسني سبع مرات .

لقد تطيبت بسبعة طيوب يا حبيبي ، لتستطيع ان تتنشقني سبع مرات .

ولما عصف جنون حبك بعقلي ، ابيت الا ان اعذبك واعذب نفسي ، فكذبت عليك سبع كذبات يا حبيبي، لتستطيع ان تجن بحبي ، ثم تضربني، ثم تقتلني سبع مرات !

لهفة وعذاب

الليل ساج وانت هنا . انت امامي ، ممددة على فراشك تسبحين في عالم النوم البعيد .

وانا ، انا الان انظر اليك . اتأمل كل شيء فيك ، ويخيل الي اني استكشف لاول مرة جمالك الساحر الفتان .

ذراعاك الناعمة ترقد على صدرك كجناح طائر قر في الوكر واستراح. شعرك الاسود ينسكب على رأسك ويوقظ فجر جبينك الناصع البياض. اهدابك الطويلة ترف على عينيك وتحميهما من لهفة الناس .

فمك الناتىء الدقيق يرسل شبه غمغمة فيها بقية من صلاة وبقية من ضحكة للحياة .

حبات عقدك الاحمر تتساقط على جيدك وتقبل صدرك في خبال .

وهذه روحك ... هذه انفاسك ... انفاسك المستبدة الضارية ... يوقعها حبي المفتون على اهازيج دمي الظمآن !

البثي هكذا ... لا تتحركي ... تقلبي في مجاهل النوم عسى ان تقع معجزة ، فيستحيل النوم العميق الى موت رحيم ، يعصف بك فجأة وينقذني !

روح الارض

تهاوت من السماء نجمة رائعة البهاء.

سقطت قطعة من النجمة في بستان، فنبتت في مكانها زهرة .

اسرعت فتاة واقتطفت الزهرة.

قدمتها لحبيبها الشاب القروي الجميل .

كان الشاب يحب الفتاة .

تناول الزهرة وتأملها .

تنشقها . قلبها ، ثم دسها في جيبه ، وعانق حبيبته ومضى .

انطلق من القرية الى المدينة .

مكث في المدينة طويلا ولم يعد .

ظلت الفتاة وحيدة شريدة تنتظر عودة الحبيب وتبكي .

استكشف الشاب في المدينة اشياء جديدة .

اشياء جميلة واشياء دميمة .

استكشف روح الارض ، حركة الحياة وجلبة الدنيا .

انطوت الفتاة على حبها وعذابها .

لم تستطع ان تستكشف في عزلتها الفاجعة شيئا .

تعاقبت الايام .

عاد الشاب فجأة الى القرية . الى بيته .

فتح خزانته . بعثر اثوابه .

عثر في احد جيوبها وفي مكان الزهرة التي اهدتها له الفتاة على عصفور .

عصفور صغير حي .

عصفور ضامر مسكين .

بهت الشاب والتقط العصفور .

فكر في الفتاة وتألم .

عاد وحدق الى العصفور وتململ.

ثم لاحت امامه المدينة .

انبعثت امام عينيه روح الارض .

تألق وجهه بغتة وضحك .

ضحك من بؤس العصفور .

اطبق عليه اصابعه .

خنقه والقى به في الفضاء .

تنفس مستريحا .

هز كتفيه مستهترا .

اوصد باب بيته في احكام .

كر راجعا الى المدينة ..

ساعة الصفاء

اقبل الليل وها هي ذي الساعة .. ها هي ذي الساعة العذبة التي يخيم فيها الفتور ، ويثور الحلم ، وينتشر التأمل ، وتضمحل الاشياء وتذوب شيئا فشيئا في فضة النهار وفي ذهب الغروب .

كل شيء يستريح تحت رقص مصباحي .

كل شيء يقر ويهدأ في صمت مخدعي .

كل شيء ينتظر ويتلهف في غمرة فرحي ... فتعال ... تعال واجلس بقربي . تعال وضع رأسك على صدري . تعال وانصت لوجيب قلبي ولا تكلمني .

هوذا الصفاء الكامل السرمدي يا حبيبي .

صفاء ، صفاء ، صفاء ، يا حبيبي.

يا من كنت منذ الابد نصيبي .

ماذا اشتهي بعد اليوم يا مليكي .

ودعي الدنيا العجيبة يا عيوني .

ترقد الدنيا في ظل الحبيب !

في وسع الرقاد ان يحطم اجنحة الناس .

في وسع الظلام ان يهيل التراب على العالم .

في وسع الموت ان يلف الخليقة

في الاكفـان .

ولكني سأظل مفتح العينين مـــن فرط طربي ، اهيم في قلبك كمـــا تهيم في قلبي ، واظل اشرب مـــن كأس روحك حتى أراك وانت نشوان قد اتيت على ثمالة كأسي !

كل شيء يستريح تحت هالـــة ضوئي .

كل شيء يقر ويهدأ في سكينـــة امني .

كل شيء ينتظر ويتلهف في غمرة فرحي . فتعال ... تعال واجلس بقربي . تعال وضع راسك علـــى خدي . تعال وانصت لوجيب قلبي ولا تكلمني . هوذا الصفاء الكامـــل السرمدي يا حبيبي .

صفاء ، صفاء ، صفاء ، يا هنائي.

يا من كنت منذ الابد شقائي .

ماذا اشتهي بعد اليوم يا ملاكي.

ودعي الدنيا العجيبة يا عيوني .

تشرق الدنيا من عين الحبيب !

الطبيعة كلها خشعت لحبنا .

الهواء الزافر حبس انفاسه مـــن اجلنـــا .

الرقاد الغاشم طأطأ راسه فـــي امتثال وانصرف عنا .

لن نتحرك هذه الليلة ولن ننام .

لن نتكلم هذه الليلة ولن نفكر .

لن نعكر صفو هذه الساعـــة لا بالهمس ولا حتى بالقبلات .

كل شيء يستريح تحت سمـــاء راحتنا .

كل شيء يقر ويهدأ تحت وابـــل نشوتنـــا .

كل شيء ينتظر ويتلهف في غمرة سكرتنا .

فتعال ، تعال واجلس بقربي .

تعال وارح راسك على حلمي .

تعال وانصت لوجيب قلبـــي ولا تكلمني . هوذا الصفاء الكامـــل السرمدي يا حبيبي .

صفاء ، صفاء ، صفاء .

يا من كنت منذ الابد جســـدي ودمي وتوأم روحي

ماذا اشتهي بعد اليوم .

ودعي الدنيا العجيبة يا عيوني .

تنبع الدنيا من قلب الحبيب !

الحسناء بنت الملك

كانت الحسناء الساحرة بنت ملك عظيم . وكانت تريد ان تتـــزوج . فتقدم لخطبتهاجمع كبير من الشبان انحنوا امامها ، وقبلوا الارض .

وكان عليها ان تلقي بمنديلهـــا الحريري الابيض الى الشاب الـــذي يختاره قلبها . فأجالت البصـــر حولها . فأخذت عيناها شابا بهـــي الطلعة ، رائع الفتنة ، يرفل في حلة فضفاضة من ذهب .

تقدمت اليه وقالت : مـــن انـت يا رجل ؟ ..

فأجاب الشاب في شموخ : انـــا امير وابن امير . مالي كالبحـــر ، وذهبي كالرمال . فتعالي الى قصري، وتحكمي في ملكي ، وكوني اميـــرة وتربعي على عرشي !

فنظرت اليه الحسناء من عليائهـــا وقالت :

لن يكون قصرك اروع من قصـــر ابي . اليك عني !

وتلفتت حولها ساهمة ، فـــوقـــع بصرها على شاب مديد القامة ،مفتول العضل ، مغشى الصدر بدرع مـــن فولاذ . فرمقته بنظرة وقالت : وانت من انت يا رجل ؟..

فهز الشاب ذراعه ، وامتشـــق حسامه ، والقى به عند قدميهـــا ، واجاب : انا بطل صنديد وفـــارس مغوار . فانظري الى درعي ، وتأملي سيفي ، وتعالي معي ، ادوخ فـــي سبيلك الدنيا ، واغزو من اجلـــك العالم !

فابتسمت له الحسناء وقالـــت : انت تحب المجد اكثر مني . اليـــك عنـــي !

ومدت بصرها في الجمع المحتشد وتضجرت . وعلى حين فجاة ، لمحت شابا مشعث الشعر ، شاحب اللون، زري الثياب . فدنت منه وصاحت مستنكرة : وانت من تكون ايهـــا الشحاذ ، وكيف تجسر على المثـول امامي ، بل كيف تجرؤ على طلـــب يدي ؟! ...

فتقدم الشاب وهو يرتجف . جثا عند قدميها ، ورفع اليها عينيـــه اللامعتين الغائرتين وقال : اسفاه . لا مال عندي ولا سيف لي ، وكـل ما املك يا حسناء هو قلبي .. لقـــد احببتك منذ اجيال ، ورأيتك مـــن خلال ثلاثة ظـــلال ..

رأيت وجهك في ظل عينيك كمـــا يرى الظمآن رحمة الله تتفجر مـــن جوف ينبوع .

ورأيت عينيك في ظل شعـــرك كما يرى المسافر عند الفجر ضـــوء النهار يسطع في عمق صحراء .

ورايت قلبك في ظل عينيك كمـــا يرى صياد اللآلىء اثمن الجواهـــر تنبثق من كهوف الماء . فانظري الي يا سيدتي . انـــا لست بشحاذ . انا شاعر وانت عروس شعـــري . فاتبعيني املأ الدنيا بالحب والجمال، او اقتليني الان عساي ان اتخلص من حبك ويأسي !

فاختلجت الحسناء ، ونظـــرت اليه طويلا ، وقالت وهي تلهث : اليك منديلي !

الموسيقي الفيلسوف

كانت القرية الكبيرة الواقعة في اقصى المدينة ، رابضة فوق تل شاهـــق تعلوها سماء داكنة ، وتنعقد فيجوها سحب ملبدة ، وتنطلق من احشائها صرخات عنيفة مزعجة تلقي الرعب في القلوب .

المصانع كانت تلهث ، والعجلات تصخب ، والآلات تهرس ، والمداخن المشرئبة باعناقها تنفث في الفضـــاء الواسع سيولا من ضباب اسود يأخذ بالمخانق ويكاد يعمي الابصار .

وكان اصحاب المصانع يرقبـــون سير العمل في صرامة ، ويلحظون حركات العمال في يقظة ، ويتابعـــون انتاج الآلات في لهفة مخبولة .

وكانت طوائف العمال من رجال

ونساء وبنات وصبيان ، منكبة على الآلات ، مرتمية فـي احضانها ، غارقة في اطوائها ، باذلة قصاراها في استخراج شتى الكنوز المستقرة في اعماقها .

وكان اصحاب العمل يصيحون ويزجرون ، والعمال يغمغمون ويدمدمون ، والجميع وقد غارت عيونهم وتصبب العرق على جباههم ، يروحون ويجيئون في رحبات المصنع كأن لعنة قد حلت عليهم ، فانقلبوا من بشر الى شياطين .

وفجأة دق ناقوس الظهر ، فخرجت طوائف العمال منهوكة خائرة وطفقت تنسل الى المطاعم المتناثرة حول المصنع وتتهيأ في نشوة عابرة لتناول طعام الغذاء .

وعندئذ ، وقبل ان تستوعب المطاعم افواج العمال ، ظهر بين صفوفهم رجل غريب .. رجل مشعث الشعر ، لامع العينين ، ضامر الوجنتين ، يمسك بيده قيثارة صغيرة تشبه طائرا خرافيا لم تقع عليه عين انسان .

صاح بالجماهير غير حافل :

ما جدواكم انتم واصحاب المصانع من كل هذا العمل ؟ .. ما جدواكم من عمل يستغرقكم فـي النهار ، ويصرعكم في الليل ، ويمتص عصاراتكم في كل لحظة . في الحياة اشياء اخرى جديرة ايضا بان يعيش من اجلها الانسان ! ... انظروا حولكم ... السماء فاتنة ، الشمس رائعة ، الزهور ساحرة ، النساء جميلات ... اي شيطان يوسوس لكم ان تسحقوا الجمال بالعمل المرهق ، وتقتلوا الشعر بالجهاد المخبول ، وتخنقوا الموسيقى في زمجرة المصانع ؟ ... ليس بالمال وحده يحيا الانسان ! ... اين ؟ ... اين اسيادكم ؟ ... اريد ان اسمعكم جميعا انشودة الخلاص !

وشرع يعزف على قيثارته ويردد ، يردد عباراته المتدفقة كالسيل ، المندلعة كالنار .

وبغتة خرج اصحاب المصانع مذعورين . فالفوا العمال وقد تركوا طعامهم ، يقبلون على الموسيقي الفيلسوف ويحيطون به ، ويستمعون اليه في ذهول وطرب واعجاب .

ودق ناقوس الدعوة الى العمل ، والعمال ما يزالون ذاهلين . فغضب اصحاب المصانع . ثار بعضهم وهموا بطرد الفيلسوف . ولكن زعيمهم الماكر الذكي لطف من ثورتهم ، وتقدم الى الرجل وقال في رفق :

ادخل ... ادخل يا بني ... وجه خطابك الينا ... نحن السادة هنا . ومتى اقنعتنا برسالتك ، انقذنا انفسنا وعمالنا وتبعناك .. تقدم ..

فدخل الموسيقي حجرة المكتب وجلس . جلس وطفق يبشر تارة ، ويغني ويعزف اخرى . فتأمله المدير العام . لاحظ ثوبه الممزق ، حذاءه البالي ، فقره الصارخ المنفر الدميم . فدنا منه ، وربت على كتفه ، وصاح به وهو يهزه هزا عنيفا :

انظر ...

فالتفت الموسيقي واذا به يبصر بد المدير تفتح خزانة حديدية كبيرة وتنتزع من جوفها كومة من الذهب الوهاج .

نظر الرجل الى الذهب وارتعد . فلم يمهله المدير . قال له وهو يفرغ الذهب في جيبه ويبتسم :

هذا اقل ما يجب ان نكافئك به ايها العبقري !

فبهت الموسيقي الفيلسوف واضطرب . اضطرب واختلج . الفيض الطارىء اذهله . التقدير الرائع الملكي اعماه . فضم يده على جيبه المملوء بالذهب ، ثم تحامل على نفسه وشكر المدير وانصرف .

وانقضت ايام ثلاثة لم ير فيها العمال اثرا للموسيقي الفيلسوف .

ولكنهم في صباح اليوم الرابع ابصروه ، ابصروه معلقا على شجرة وقد شنق نفسه بحبل ، بعد ان حطم قيثارته وبعثر البقية الباقية من قطع الذهب في الطريق ..

وصيتي

لا بد ان تميل بك الحياة يوما الى الفناء المظلم المحتوم .

فاملأ رئتيك من عبير شبابك ما استطعت . المسافة قصيرة بين الكرم والمعصرة ، بين مطلع القصيد ومقطعه ، بين الفجر والغروب .

البث مفتح الروح لكل عطر يرف حواليك ، مرهف السمع لكل صوت ينبعث من الناس ومنك ، مشبوب العقل والتطلع الى كل فكرة جديدة يحملها العالم المتطور اليك .

اياك ان تذهب الى مرقدك الاخير قبل ان تكون قد شربت من عسل الدنيا ، وازدردت من ملحها ، وشرقت في النهاية بالصرخات والدموع .

ضاعف نفسك بقوة رغباتك .

اندمج في تموجات ايامك ولياليك .

ضم الحياة المتمردة الى صدرك .

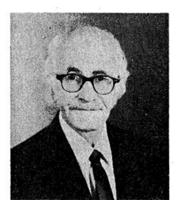
دع مفاتن الفرح والالم تغرد على ثغرك كسرب من النحل المفتون .

اعشق العمل والامل والتفوق والحب .

كثيرون غيرك ابو ان يعصروا جباههم ، وأبو ان يريقوا ذهب عيونهم . وها هم الان يرقدون في بطن الارض دمما منسية باليةلم تعرف الحياة لانها لم تعرف الكفاح المخضب بدم الخيال والحلم !..

فعش ما وسعك ان تعيش . ثم انظر الى الموت بلا حسرة او اسف . ومتى اقبل الموت ، فاقبل عليه وقل له وانت هادىء باسم : مرحبا بك يا صديقي . لقد نسيتك لفرط ما عشت . لقد حفرت في الحياة اسمي وذكري وعملي بالرغم منك . هذا ايها الموت الشاحب الجامد هو انتقامي !

القاهرة — ابراهيم المصري



الدكتور احمد سوسة

الدكتور سوسة والشريف الادريسي

بقلم عبد الرزاق الهلالي

* * *

الدكتور احمد سوسة ، حفظه الله ، حركة دائبة ، ونشاط مستمر ، لا يكاد يتحف المكتبة العربية ، بكتاب رائع فريد، حتى ينصرف الى تأليف كتاب اروع منه ! فبالامس القريب أصدرت له وزارة الاعلام العراقية ، كتابه الجليل الموسوم بـ « العرب واليهود في التاريخ » فأحدث صدوره ، كما قرأنا ، ردود فعل كثيرة في الاوساط المعنية بدراسة هذا التاريخ ، ذاك لانه أثبت بالادلة القاطعة والبراهين الدامغة، زيف مدعيات الصهاينة واكاذيبهم التي لفقوها لتأكيد صلتهم بفلسطين وهي منهم براء .

واليوم ، يتحف المكتبة العربية ، بكتاب رائع جديد، ذاك هو كتابه الموسوم بـ « الشريف الادريسي في الجغرافية العربية » الذي الفه استجابة لرغبة نقابة المهندسين العراقية ، هذه النقابة التي امتازت عن غيرها من النقابات باتجاهها العلمي الفريد ، وحرصها على احياء تراث هذه الامة ! فكان مما قامت به ، اعادة طبع خارطة العالم التي وضعها الادريسي ، ثم ما لبثت ان قررت النهوض بعمل ثقافي آخر ، ذاك هو اصدار هذا الكتاب وهي في ذلك تقول:

فرأت نقابتنا ، ان حقا عليها ، ان تبادر الى تيسير هذه الخارطة التاريخية النادرة لجمهرة القراء العرب ، وان تعززها بدراستين جديدتين ، للادريسي وللخارطة، تجزلان النفع ، وتنشران المعرفة الوثيقة ، بفضل العرب على العلم والحضارة . فاعادت طبع الخارطة بشكل اجمل واروع ،

وها هي ذي تقدم اليوم ، الدراسة التحليلية العلمية لمكانة الشريف الادريسي في الجغرافيا والكارتوغرافيا ، التي نهض بها المهندس الدكتور احمد سوسة في هذا الكتاب — الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية ... »

ولقد اثبت الدكتور سوسة ، في كتابه العظيم هذا، انه عالم فذ ، حقا ، له باع طويل ، ليس بعلم التاريخ والهندسة والري فحسب ، بل في الجغرافيا والكارتوغرافيا ايضا .

ففي الجزء الاول من كتابه ، وهو الذي اعتبره « المدخل الى عصر الادريسي » شرق وغرب في الحديث عن الجغرافيا والكارتوغرافيا ، في العصور القديمة ، وفي عهد الرومان واليونان ، ثم تحدث عن الجغرافيا العربية في دوري الانبعاث والنضج والابتكار ، فلخص بأسهاب ، ما قام به الجغرافيون العرب ، في مختلف العهود ، من اعمال في المجال الجغرافي ، ابتداء بالكلبي واليعقوبي ، والبلاذري ، وانتهاء بما قام به أضرابهم من الجغرافيين العرب بعد ذاك ، حتى القرن الخامس الهجري ، معززا كل ذلك بالعديد من المصورات والمرتسمات والالواح والخرائط الفريدة النادرة !

اما الجزء الثاني ، من الكتاب ، وهو الذي تحدث فيه عن « عصر الادريسي » فقد تناول فيه كل ما يتعلق بهذا العالم الجغرافي العربي الكبير ، فحين ترجم لنا حياته، قال انه هو : « محمد بن عبد الله بن ادريس بن يحي بن علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيدالله بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب » فالادريسي حسني علوي من ذرية الامام علي عليه السلام ، جاءه لقبه من جده الاعلى (ادريس الاول) مؤسس دولة الادارسة في مراكش ! وقد ولد في مدينة (سبتة) سنة ٤٩٣ هـ — ١٠٩٩ م وبعد ان تلقى دروسه فيها وهو صبي يافع، انتقل الى قرطبة فدرس فيها على اساتذة مشهورين ، وتخصص بعد ذاك بالجغرافيا والطب .

ولما آلت مقاليد الحكم في جزيرة صقلية الى الملك النورماندي (روجار الثاني) الذي كان ذا ولع كبير بعلم الجغرافيا ، دعا الادريسي اليه ، للافادة من علمه ، فلبى الادريسي هذه الدعوة والتحق ببلاط هذا الملك وانكب على وضع كتاب في جغرافية العالم ، فأنجزه في سنة ٥٤٨ هـ — ١١٥٤ م واسماه « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » ووضع له عددا من الخارطات التوضيحية وأرفقها به .

ولما قامت الفتنة في صقلية بعد وفاة هذا الملك ، وتولى شؤون الحكم فيها الملك غليالم الاول ، اتصل به الادريسي ايضا وعمل له نسخة موسعة من كتابه سماه بن بشرون بـ « روض الانس ونزهة النفس » . وقد اختلف في مكان وتاريخ وفاة الادريسي ، ولكن الذي استخلصه الدكتور

سوسة ، انه مات في صقلية سنة (٥٦٠ هـ - ١١٦٤ م) ومثبتا في الوقت نفسه راي (كراتشكوفسكي) الذي يقول فيه انه مات في مدينة سبتة .

وحين حدثنا الدكتور سوسة عن كتاب الادريسي ، نزهة المشتاق ، قال :

- وبعد كتاب نزهة المشتاق ، الاول من نوعه في عصره ، فهو جزء متمم للاحدى وسبعين خارطة الملحقة به ، ويتميز بكونه اول كتاب في الجغرافيا العربية، يتناول الارض المسكونة المعروفة في ذلك العهد ، مخالفا بذلك اكثر الجغرافيين العرب الذين اعتادوا الاقتصار على الممالك الاسلامية فقط . قال بعد ذاك :

- ان الادريسي حذا ، حذو الجغرافيين العرب ، بتقسيم العالم الى سبعة اقاليم على شكل أحزمة افقية مستطيلة ، ولكنه انفرد في طريقة تقسيم هذه الاقاليم السبعة ، فقسم كلا منها الى عشر مناطق متساوية بحيث أصبح مجموع المناطق سبعين منطقة ، وقد وضع لكل منها خارطة ، توضح مواقع المدن والبحار والانهر والخلجان والجزر والجبال داخلها وقد احصى عدد اسماء المدن التي وردت على السبعين خارطة المذكورة فاذا هو (٢٠٦٤)اسما منها ٣٥٦ بأفريقيا و ٧٤٠ بأوروبا و ٩٥٩ بآسيا .

وقد أفاض الدكتور سوسة في الحديث عن هذا الكتاب ، فذكر النسخ المخطوطة منه ، والمكتبات العالمية الموجودة فيها ، والدراسات العديدة التي صدرت عنها مشيرا الى اهمها وهي الدراسة التي قام بها المستشرق الالماني (كونراد ميللر) وعلى الاخص الخارطات الملحقة بالكتاب . فقد جمع هذا المستشرق جميع الخارطات من مختلف المخطوطات العربية وعددها (٣٣٦) خارطة . ثم ضم السبعين خارطة التي وردت في كتاب نزهة المشتاق الواحدة الى جانب الاخرى ووحدها في خارطة كبيرة تشمل جميع العالم المعروف عند الادريسي ، وهذه هي الخارطة التي طبعها المجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٥٠ واعادت طبعها نقابة المهندسين العراقية في سنة ١٩٧٠ .

والواقع ان كتاب « الشريف الادريسي في الجغرافيا العربية » موسوعة من الموسوعات الجغرافية العربية الاسلامية الهامة ، التي لا يمكن ان يقوم بتأليفها الا امثال الدكتور سوسة من الباحثين الاثبات العاملين على الكشف عن الحقيقة بكل حرص ومثابرة . ويقع الكتاب بجزئيه ، بـ (٥٠٤)صفحات من القطع الكبير ، وقد طبع بالاوفسيت على ورق لماع طبعا انيقا جميلا ، وقد جلد الجزءان تجليدا مذهبا فاخرا ، وقد حوت دفاته اكثر من (١٠٨) صورة وخارطة ومرتسم ، رسمها جغرافيو البابليين واليونان والرومان والعرب في مختلف العصور والازمان ، وفيها عدد كبير من الخرائط الملونة ومنها (صورة العالم) لكل من الاصطخري وابن حوقل ، والمسعودي والبتاني ، وخارطة العالم التي وضعها الادريسي ، وخارطة العالم التي رسمها على جلد شاة ، محمد بن علي الشرفي الصفاقسي سنة (١٦٠٠ - ١٦٠١ م) ، وكلتا هاتين الخريطتين ، مطبوعة بالالوان الزاهية وبالحجم الكبير وملصقة في هذا الكتاب .

ويطيب لي ، بعد ان أنهيت قراءة هذا الكتاب ، بجزئيه ، ان ابين للقاريء بعض ما خرجت به من ملاحظات وفق ما يلي :

أولا : - ماكنت اعرف السبب الذي جعل الجغرافيين العرب ، يرسمون خارطاتهم بصورة يجعلون الشمال في اسفل الخارطة والجنوب في أعلاها حتى قرات هذا الكتاب وفيه يفسر الدكتور سوسة هذا السبب قائلا : « ويرى البعض ان سبب وضع الجنوب في أعلى الخارطة ، هو وقوع جزيرة العرب ، بما فيها مكة ويثرب ، في اقصى الجنوب، ولم يشأ هؤلاء الجغرافيون ان يعلوهما بلد » فعند ذاك عرفت السبب .

ثانيا : - لقد أفدت كثيرا من بحث الدكتور سوسة عن لفظة (خارطة وخريطة) فهو يقول : ان لفظة خارطة او خريطة ، لم تكن معروفة عند العرب ، بل انهم كانوا يستعملون لفظة (صورة) ثم حل محلها لفظ (المصور الجغرافي) ومع هذا فان الجغرافيين العرب لم يتفقوا في استعمال هذا المصطلح ، فان ابن فضل الله العمري في « مسالك الامصار » يستعمل لفظ (لوح الرسم) بينما ورد في كتاب « نزهة المشتاق » لفظ (لوح الترسيم) .

ويذكر الدكتور سوسة بعد ذاك ، ان اول ذكر للصورة بمعنى (الخارطة) في الكتب الجغرافية العربية ، جاء مقترنا باسم الحجاج ، حيث ذكر ، انه طلب - بعد ان استبطأ حصار منطقة بخاري - من قائده ، قتيبة بن مسلم الباهلي ارسال صورة المنطقة ثم بعث بتعليماته حول الخطط العسكرية الواجب اتباعها ، على تلك الصورة . اما استعمال لفظ (خارطة) باللغة العربية، فيرى الدكتور سوسة ، انه يرجع الى عهد محمد علي ، حين عرب المصريون كلمة Carte الى خارطة . ويرى ان العرب لم يكونوا يعرفون لفظة (خريطة) بغير معناها اللغوي وهو - الحقيبة - التي تنقل بها الكتب او الرسائل او اي شيء من متاع .

ثالثا - وارتنا هذه الدراسة ، ان الادريسي لم يكن عالما قابعا في داره ، بل كان سائحا جواب آفاق ، فقد ذكر الدكتور سوسة ان الادريسي كان ولوعا منذ الصغر باسفار فقيل انه قام بسلسلة أسفار وهو لم يزل في السادسة عشرة من عمره ، فطاف بلاد الاندلس ، وتجول في البلدان الواقعة على البحر المتوسط وسواحل فرنسا وانكلترا على المحيط الاطلسي ، ثم رجع الى شمال أفريقيا وقصد مصر والشام وآسيا الصغرى والقسطنطينية وزار بلاد اليونان الخ

رابعا - وقد ظهر لنا ان الادريسي قد افاد ممن سبقه في علم الجغرافيا والكارتوغرافيا ، ولكنه خرج عما كانوا سائرين عليه في رسم الخارطات . وفي هذا يقول الدكتور

لجأت الى ربي

●

اذا اطبق اليأس العضال على قلبي — وسد علـي الهم مستبسلا دربي
وشنت علـي النائبـات حروبها — لتسلمني حرب ضروس الى حرب
وغرر بي من باعة الكتـب نـاشر — لتغنيه كتبي ، وتفقرني كتبـي
وروعني في جنـة الود صاحـب — بدا غيمة سوداء في جنة الصحب
وخان بني قومي من العرب عصبة — ببهتانهم قد لطخوا سمعة العرب
وسـددت الادواء نحـوي سهامها — ليعجز عن ترويضها سادة الطب
واسلـخ ايامي علـى حمم الاسى — واصحو على رزء ، واغفو على كرب
واقتات زقوما ، واشرب علقمـا — وابلو آلاما تزعـزع لـي لبـي
واغرق في الاشجان في كفها الردى — وافلت مـن نحب مخيف الى نحب
نفضت عن القلب المخافة مسلمـا — اليك مقاليـد ابن جنبي يا ربـي

محمد العدناني

سوسة : ـ اخذ الادريسي من المدرسة الكلاسيكية المتصلة بأطلس الاسلام ، فكرة الحاق الخارطات بالوصف الجغرافي لكل جزء من أجزاء الاقاليم مع مخالفته لها بجعل جغرافيته شاملة جميع أقطار العالم المعمور في حين ان جغرافيـة المدرسة الكلاسيكية تقتصر على العالم الاسلامي فقط .

خامسا ـ وقد يبدو غريبا ، ان نقرا ان العـرب تجاهلوا الاعمال التي قام بها الادريسي وأهملوا ذكـره ، ويرجع بعض الباحثين السبب في ذلك الاهمال والاغفال الى ذهابه للملك النورماندي في وقت عصيب من تاريخ الاسلام حيث كانت الحروب الصليبية مستعرة بين الافرنج والمسلمين في المشرق وفي الاندلس .

ومع هذا فقد أثبت الدكتور سوسة بعض الاراء التي تناهض هذا الراي ومنها راي الاستاذ عبد الله كنون الذي قال فيه « ان تجاهل الكتاب الادريسي » فانهم لم يتجاهلوا كتبه والنقل عنه والاستفادة من ابحاثه والثناء على آرائـه في أهم المسائل الجغرافية والطبية والنباتية ـ فلو كـان المسلمون ارادوا تجاهله لما نقلوا عنه ، ولما تسابقوا في اطراء عمله » .

سادسا ـ كما ظهر لي ، ان الدكتور سوسة ، قـد كشف عن حقيقتين هامتين في عالم الجغرافيا هما :

١ ـ ان أول من استعمل كلمة (جغرافيا) هـو (مارينوس الصوري) الفينيقي ، ثم بطليموس اليوناني. وان كلمة (جغرافيا) هي كلمة يونانية بمعنى (صـورة الارض) . وهذه الحقيقة تدحض ما ذهب اليه كثير من المؤرخين الذين اعتبروا ان الجغرافيا نشأت على أيـدي فلاسفة اليونـان .

٢ ـ لقد ظلت الطريقة التي اتبعها البابليون في رسم خارطة العالم وهي (رسمها على شكل دائرة تحيط بهـا المياه من كل جانب) لقد ظلت هذه الطريقة سائدة الاف السنين وعنهم اخذها اليونانيون فالعرب ، وبقيت مستعملة حتى عصر النهضة الاوروبية ، حيث استعملت الطريقة المتبعة اليوم في رسم الخرائط .

وبعد : فهذا هو كتاب « الشريف الادريسي فـي الجغرافيا العربية » لمؤلفه الدكتور احمد سوسة ، عرضنا بعض ما جاء فيه عرضا خاطفا ، لاعلام القارىء بأهمية هذه الدراسة الرائدة في هـذا الحقل .

واني اذ اهنىء الدكتور سوسة على هذا العمل الجليل، اكرر شكري لنقابة المهندسين العراقية على حسن اختيارها وعلى اسهامها المحمود في احياء جانب من جوانب تراثنـا العربي والاسلامي ، سائلا المولى تعالى ان يأخذ بيد العاملين الى ما فيه الخير والفلاح انه سميع الدعاء .

بغداد — عبد الرزاق الهلالـي

وقف محمد يودع صديقيه كمال وصبحي بعد قضاء يوم حافل في طنطا .. ركبا السيارة ونظر محمد الى الافق يشهد غروب الشمس .. كان يتمنى الا يفترق عنهما ، ويتخلف لكنه تذكر وجه الحاج ابراهيم المتلون بدماء الخجل ، وهو يهمس له قائلا:

ـ ماذا جرى يا استاذ محمد ؟ هل ستتركون شعبان جميعا لاحزانه و..

وصمت الحاج ابراهيم ، ابتعد بوجهه عن عيني محمد قائلا :

ـ لعلك تعرف ما اقصد ..

قال محمد في راحة واعتزاز بالبنوة نحو الحاج ابراهيم :

ـ امرك يا حاج .. سأذهب مع كمال وصبحي لقضاء بعض الوقت في طنطا .. ثم اعود وادعهما يسافران.

امسك الحاج ابراهيم ذراعي محمد في انفعال وقال :

ـ لا ادري كيف اشكرك ..

ـ الشكر لله يا حاج .. انني ابنك وطوع امرك ..

لحق محمد بصديقيه على مشارف القرية .. استقلوا سيارة شركة النقل التي تعمل بين طنطا وضواحيها من القرى المجاورة ، وصلوا الى طنطا والشمس تأخذ مكانها في كبد السماء متجمرة ملتهبة .. بدأت الاجساد تفتح مسامها وتطرد العرق لزجا مملحا .. كان أول ما فعله الاصدقاء الثلاثة ان لاذوا بباحة مسجد السيد البدوي .. كانت الباحة غاصة بالرواد رجال ونساء .. أهل الريف واهل حضر .. عدد من السياح الاجانب في خلاعة ملابسهم .. تبادل الاصدقاء نظرات التعجب والدهشة.

... قرأوا صورة الفاتحة ، وقفوا يبتهلون بالدعاء لآلهم وذويهم ومعارفهم ولم ينس أحد منهم الدعاء لشعبان في محنته التي لا يشكون في انها جرحت روحه جرحا داميا ، وكلهم يعرف غلبة روح التشاؤم على روح التفاؤل في نفسه المعذبة ..

غادر الاصدقاء الثلاثة المسجد.. تدور برأسهم فكرة الطواف بالمدينة.

قال صبحي مستوقفا صديقيه عن الاستمرار في السير دون هدف :

ـ اين نتناول غداءنا ؟

قال محمد :

ـ هيا نلقي نظرة على المطاعم ..

قال صبحي :

ـ تعاليا معي .. اعرف مطعما نظيفا تناولت فيه غدائي حينما زرت هذه المدينة منذ بضعة اشهر..

انطلقوا مرة اخرى في السير ، والحديث يدور عن شعبان .. قال صبحي :

حرام والله .. كان من المفروض ان نأخذه معنا ..

قال كمال :

ـ لا يستطيع يا صبحي .. انه محكوم بعادات أهل الريف .. فعليه

الاصدقاء الثلاثة

بقلم جمعه محمد جمعه

ان يشارك في تشييع الجثمان ،ويقف امام الناس يتلقى العزاء في ابن خاله.

قال صبحي محتدا :

ـ يكفي وجود ابيه واخويه .. لن تحتمل روحه تجدد الاحزان ..

قال كمال وهو يرقب بائعا متجولا يزك فوق الارض يثقله عمر تجاوز المائة :

ـ لا بدان يتحمل نصيبه من المحنة.

وعاد الى تأمله يتابع البائع في ثيابه المهلهلة الرثة ، وقدميه الحافيتين المشققتين المصبوغتين بلون اديم الارض .. مصمص شفتيه ثم ضحك قائلا وهو يشير الى العجوز :

قصة

ـ رغم هيئته الزرية تفوح منه رائحة زكية ..

قال محمد وهو يلقي نظرة على العجوز :

ـ انها رائحة البخور الذي يحمل.

قال صبحي وخطواته البطيئة تتجه نحو العجوز :

ـ لحظة .. سأشتري بخورا ..

قال محمد محذرا :

ـ تشممه جيدا لئلا يكون مغشوشا.

وشرد محمد بذهنه الى بائعي البخور حول مسجدي الحسين والسيدة زينب عندما كان يذهب الى هناك وتشده رائحة البخور من انفه فيشتري ، وحينما يعود الى البيت يحترق البخور ويتصاعد منه دخان اسود بلا رائحة .. ويكتشف انه عبارة عن نشارة الخشب .. وقع اكثر من مرة في حيل الباعة الغشاشين حتى انه كف عن الشراء ..

تأمل العجوز طويلا وقال في نفسه: « أيمكن لهذا الوجه السماوي السمح ان يكون لغشاش ؟» اقترب من العجوز تحدوه ثقة كبيرة في امانته وصدقه واشترى بخورا هو الاخر .. عاودوا السير وتركوا العجوز وراءهم ..وقد الهتهم الحركة الدائبة ، وزحام المارة واصوات البائعين ، وكثرة الشحاذين الذين يتناثرون كالعشرات في كل الطرق يشعرون بالتقزز للاهمال الشنيع الذي يحيط بمسجد السيد البدوي حيث يؤمه الالاف من الزوار مصريين واجانب .. تلال الاتربة تشكل اهراما هائلة .. تلال القاذورات تتناثر هنا وهناك .. الشحاذون في انماط عدة تثير الغثيان..منهم الكسيح، والاعمى ومنهم المقطوع الساق او الذراع .. حفنة من المشوهين يلطخون وجه المدينة ..

قال كمال ممتعضا :

ـ مناظر مؤذية ..

كان صبحي قد ابتاع الكثير من الاشياء: لعبا لاطفاله وحلوى ، وتحفا

صغيرة .. شاركه كمال ومحمد في حملها .. افسد حر الظهيرة اللافح متعتهم اضافة الى ما راوه من مناظر مفززة ، وزحام غريب كأنه يوم الحشر . كل الناس يرفعون وجوههم الى السماء ، شفاههم تلهج بالدعاء لتحقيق حاجة او نوال مأرب . شفاء من مرض او بلاء .. تحقيق امل او انتصار في قضية .. عودة مغترب او فك عقدة عانس ..

توقف محمد ووضع يده على بطنه وصاح :

ـ معدتي تصرخ .. لن أتحرك خطوة قبل ان آكل ..

قال صبحي وهو يدفعه امامه بكتفه :

ـ المطاعم كلها مزدحمة .. سنشتري ساندويتشات ونأكلها في مقهى من المقاهي ..

قال كمال :

ـ لنذهب الى المقهى اولا .. انني تعب من المشي ..

قرب المقهى الذي قصده الاصدقاء الثلاثة توقف صبحي بغتة .. واقترب منه محمد ودفعه في كتفه قائلا :

ـ اتعبت .. ؟

لكن صبحي كان يرى زميله في العمل زكي مقبلا ناحيتهم ، وابتسامة عريضة ترف على شفتيه .. صاح صبحي مهللا :

ـ زكي .. غير معقول .. صدفة ولا الف موعد ..

التقت الاكف في مصافحة ، والشفاه تنثر كلمات التعجب لهذه المصادفة .

قال كمال متأملا وجه صديقيه المتعبين :

ـ كأنا كنا نطوف طوال ساعتين او ثلاث ساعات لكي يتم هذا اللقاء ..

قال محمد وهو يقترب من حافة الطوار للجلوس :

ـ اين كنت يا زكي من بدري ؟.. لقد فرغ خزان الوقود ..

ضحك الجميع وزكي يقول :

ـ لماذا لم يخبرني صبحي بأنكم آتون ؟

ولم ينتظر الرد من احد .. امسك بذراع صبحي ودعاهم الى البيت .. قال محمد وكمال يزجره لجلوسه على الطوار :

ـ لن نذهب الى البيت .. احضر البيت الى هنا ..

ثم نهض وساروا جميعا يتقدمهم زكي متحدثا الى صبحي ، وكمال ومحمد يستندان احدهما الى الاخر ،

.. قال محمد :

ـ لا شك ان عنده تليفزيون .. سنشاهد مباراة الاهلي والزمالك ..

قال كمال مبتسما :

ـ ما لنا والكرة الان .. الراحة اولا فالغداء ثانيا ثم السفر الى القاهرة ..

قال محمد وهو يتابع زكي بعينيه :

ـ انك في اجازة .. لم لا تبق معي يوما او يومين ، ثم نصحب شعبان معنا الى القاهرة ..

شعر كمال بتحرك الرغبة في البقاء فلم يتمتع بالريف كما كان يتمنى .. ولولا ليلة الشؤم وانقلاب العرس الى مأتم لامضى امتع ايامه في الريف الذي يعشقه على مبعدة .. ان في روحه نزوعا الى التأمل ، ولم تعد المدينة تشبع هـذا النزوع .. زادت ضوضاؤها عن المألوف ، وعلا ضجيجها يصب انغاما شاذة في الاذن .. تلوث هواؤها بالدخان والغبار ، وفي لمحة خاطفة تذكر احداث الامس .. تذكر انتظارهم في المقهى المواجه لموقف سيارات السفر بجوار محطة مصر حضور الراقصة ، كانت الفرقة كلها مكتملة ما عدا الراقصة .. تذكر المجهود الشاق الذي بذله افراد الفرقة الموسيقية للعثور على راقصة .. بدا الامر وكان القاهرة كلها افراح ، وازداد صبحي تمسكا بضرورة اصطحاب راقصة حتى لا يخذل صديقه شعبان وسط اهل قريته .. تذكر جنون الشباب وهم يبدأون السفر من القاهرة والساعة تقترب من العاشرة ليلا .. كان جنونا ان يذهبوا كمدعووين الى حفل زواج قبل منتصف الليل بقليل . لكنهم اعتمادا على ما تشيعه الراقصة من بهجة ، وماتوقظه في النفوس كفيل بأن يجعل الليل يبدأ عند منتصفه ، ويستمر الناس جميعا في يقظة ليصلوا بين نهارين ، وكأن نهار امس بلا انتهاء ، وحدث لهم ما ارادوا بطريقة اغرب من الخيال .. قضوا الليل في يقظة تامة دون موسيقى ، دون غناء ، دون رقص ، دون فرح او سرور .. بل قضوه في مواساة صديقهم شعبان وتهوين المأساة على روحه ..

افاق كمال من شروده وهم يدخلون البيت وراء زكي ، وسرعان ما كان الغداء معدا ، وزكي يعلن ترحيبه بهم على طريقة الكرم الحاتمي .. فبعد الغداء جاء بالشاي .. ثم المثلجات .. ثم البطيخ .. شعر كمال بالنوم يداعب راسه .. نظر الى صبحي فرأى احمرار عينيه .. رمق محمدا ورآه كعادته يتحرك من مقعد الى مقعد فأدرك انه ايضا يغالب النوم على طريقته .. التقت نظراتهم المتعبة وسقطت على مشتريات صبحي فهبوا وقوفا تأهبا للذهاب .. خرج زكي في وداعهم حتى موقف السيارات .. ركب كمال وصبحي ، واخذ محمد طريقه الى سيارة اخرى تقله الى قرية شعبان ..

يداعب النوم الطفل الصغير وامه تهدهده فوق حجرها .. كانت السيارة تهدهد صبحي .. اخذ راسه يهتز متأرجحا بين النوم واليقظة .. يتثاءب بين الفينة والفينة .. والهواء المندفع من نافذة السيارة يداعب وجهه ويعبث بشعر راسه ، وكان كمال يرقبه بعين وبالاخرى سبق السيارة الى القاهرة .. دلف الى بيت حبيبته . رآها جالسة تترقب في شوق اوبته . راى عينيها الجميلتين السوداوين تلومانه على حرمانها من رؤيته طول يوم العطلة .. تحيطه بنظرات الحب وتطالبه في صمت الا يسافر بعيدا مرة اخرى .. فلا تطيق روحها ابتعاده عنها ، ولا تحتمل عيناها غيابه في سفر .. كالطفل الصغير ينام على ضوضاء وابور الغاز وامه تقوم باعداد الطعام او غسل الثياب .. ينام على ضوضاء عجلات الترام .. ينام على صخب وثرثرة ركاب الاتوبيس .. اغمض كمال عينيه ، وطوى يقظته المتأرجحة الكرى وحبيبته ساكنة بين جوانحه وتحت جفنيه ..

القاهرة **جمعه محمد جمعه**



عامر محمد بحيري

حصاد السنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

المتنبي

وقف بنا الحديث في الفصل السابق ، عند التحاقي بكلية الآداب ، بجامعة القاهرة .. في يوم ١٥ اكتوبر ١٩٣٢ .. بعد صعاب وعقبات كادت تعترض طريقي .. وكدت أسير في الحديث قدما ، لاصف هذه الفترة الصاخبة ، التي اعقبت وفاة شوقي ، ومن قبله حافظ .. والتي صدرت فيها مجلة « ابولو » .. متزعمة حركة جديدة في أحياء الشعر العربي ، وتجديده .. كما أصدر العقاد ـ من موقفه الجهير في السياسة والادب يومئذ ـ ديوان « وحي الاربعين » ..مواصلا به حركة التجديد الاولى ، التي بدأها مع زميليه المازني وشكري .. قبل اكثر من خمسة عشر عاما على ذلك التاريخ ..

على انني وجدت من الظلم البين ، ان أدير ظهري لفترة سابقة ، اراها حافلة بحديث الشعر والادب ، تبدأ منذ التحقت بالمدرسة الثانوية .. (مدرسة السعيدية بالجيزة) .. بعد عودتي مع والدي من السودان للمرة الاخيرة اوائل عام ١٩٢٥ .. وتنتهي بانتهاء هذه المرحلة الثانوية والوقوف على ابواب كلية الاداب ، بالجامعة ..

لقد صحبت في هذهالفترة .. اربعة من كبار الشعراء الرواد على الطريق .. لقيت حافظ ابراهيمفي ديوانه الاول الذي صدر عام ١٩٢٢ .. وكنت في العاشرة ، تلميذا في مدرسة ام درمان الابتدائية ، فحفظته عن ظهر قلب .. والتقيت معه بديوان « سقط الزند » لابي العلاء المعري .. الذي كان في الاصلمطلوبا لاخي ، وهو يكبرنيبثماني سنوات بعد تخرجه في كلية غردون . وتوفره على قراءة الشعر ونظمه .. وكان شقيقي يعجب لقراءتي معه في « سقط الزند » ، وزاد اعجابه حين رآني اقرأ باب « الدرعيات » في اخر الديوان ، مع صعوبة الفاظه ومعانيه ، وغرابة موضوعه ، فأحسن القراءة ..

ثم التقيت في مصر ، فيعام ١٩٢٥ .. بديوان «المتنبي» بين كتب والدي رحمه الله ..وكانت حياتي الجديدة في مصر ، ودراستي المتقدمة في المدرسة الثانوية ، وقراءتي للصحف السياسية والادبية .. واشتراكي في حركات الطلاب الوطنية .. كل ذلك جعلني اهتم بقراءة ديوان « المتنبي » .. فقد كان زادا حقيقيا ، نفعني في اول الامر ، وخاصة في هذه الفترة التي بدات تظهر فيها ارهاصاتنظم الشعر عندي ، وانا دون الثالثة عشرة بقليل ..

وكنت في ذلك الحين قد أصدرت جريدة منزلية .. على غرار الاهرام ـ والاخبار ـ والمقطم ـ والاهالي .. مما كنت اقراه يومئذ .. وجعلت جريدتي وطنية،سياسية اخبارية .. وان كانتاكثر اخبارها منزلية .. وسميتها جريدة « الحوادث » .. وجعلت فيها بابا على غرار باب في مجلة « الكشكول » التي كانت تمدني بمادة ادبية غزيرة .. يسمى « دائرة المعارف الوفدية » .. فسميت هذا الباب « دائرة المعارف المنزلية » .. ورحت ارتب فيه الكلماتعلى حروف الهجاء ، كما هي الحال في المعاجم ودوائر المعارف. واكتب تحت كل مادة كلاما جميلا مسجوعا حينا ، وشعرا منظوما حينا آخر .. وكان هذا الشعر يأتي عفو الخاطر ، ولكنه كان جيدا .. رآه والدي فتعجب له ..

على ان البداية الحقيقية لقول الشعر .. ترجع للعام التالي ١٩٢٧ .. والدافع الحقيقي لها هو ديوان « المتنبي » الذي رحت ادمن قراءته في ذلك الحين ، آنا بمفردي ، وآنا تسميعا على والدي ، الذي كان يؤثره اشد الايثار ، كما كان في هذه الفترة كلها ، يحب ان يسمعه مني وانا أقرا وهو يشرح .. واذا وقفنا عند كلمة صعبة ، تحتاج للبحث عنها في القاموس .. ابى الا ان احضره للوقت ، لابحث عنها .. قاصدا بذلك ان يعلمني امرين ، أحدهما تعليمي وهو البحث في القاموس .. والثاني تربوي وهو الا اؤخر عمل اليوم الى الغد ..

وفي آخر العام الدراسي ، مايو ١٩٢٧ .. رأيتطلاب فرقتي يحولون القماطر في فصلنا ، ويجعلونها على هيئة دائرية .. كما هي الحال في البرلمانات والمجالس الدولية .. وفهمت من ذلك اننا سوف نقضي الايام الاخيرة ، في وداع

اساتذتنا ، واظهار شعورنا نحوهم .. فنظمت في ذلـك قصيدة بادئة ، ولكني سرعان ما وجدت سيلا من الشعـر يتدفق منذ اوائل العطلة الصيفية .. ثم كان في اواخرهذه العطلة — في ٢٣ اغسطس ١٩٢٧ — ان انتقل الزعيم الخالد سعد زغلول الى جوار الله .. وكان اثره عظيما في نفسي ، وقد اتيحت لي فرصة رؤيته والاستماع اليه وهو يخطب في آخر حفل عام ، بيوم عيد الجهاد الوطني في ١٣ نوفمبر ١٩٢٦ ..

لست انسى مطلع الخطبة المرتجلة ، التي كان يلقيها سعد زغلول يومئذ ، على طريقته العجيبة في السجـــع والارتجال معا .. فيقول :

« يعز علي ان أرى منبر الخطابة منصوبا ، ولا استطيع له رقيا .. وان اجد مجال القول واسعا ، ولا أملك لسانا فتيا ... » الخ

كان لوفاة الزعيم الخالد سعد زغلول ، اثر كبير على نفسي .. فرحت انظم اول شعر حقيقي في رثائه ، والنسج على منوال شعراء الوطنية .. ولعلي أشرت الى بعض ذلك الشعر من قبل .. ولكني أقول هنا ، انه عند بدء العـام الدراسي راحت الهيئات والجماعات — ومن بينها المدارس تقيم حفلات التأبين المتعددة .. وكان ان اعلنت المدرسـة السعيدية .. انها ستقيم حفلا لتأبين الزعيم سعد زغلول ، ورحت اكتب قصيدة جديدة ، وانا اجلس على قهـــوة « المثلث » بميدان الجيزة .. مع بعض الزملاء ، حتى فرغت منها .. ولكني لم اجد وسيلة اتقدم بها الى اللجنة المشرفة على اقامة الاحتفال — ولم تكن لي الجراة للدخول على ناظر المدرسة ، لاخبره — وانا في السنة الثانية — انني نظمت قصيدة اريد القاءها في احتفال المدرسة ..

وتطوع احد زملائي ، ممن كانوا اشد جراة مني ، فأخذ القصيدة وقدمها الى اللجنة .. وكان يشرف على قراءة النصوص استاذ كبير هو المرحوم الشيخ عبد المجيد الشافعي وكان مدرسا للسنة الخامسة .. فارسل الي يستدعيني . ولما ذهبت اليه في حجرة المدرسين ، حياني تحية طيبة ، وشجعني على قول الشعر ، وقال لي ان هيئتي تدل علـى انني ساكون من الشعراء فيما بعد .. واظهرني على القصيدة فاذا به قد اقرها جميعا .. فيما عدا ابيات قليلة في آخرها تطرق اليها الضعف .. فخط عليها بالقلم الاحمر .. ثم اشار الى بيت ، لم يحذفه ، ولكنه خط عليه بالقلم الاحمر ايضا .. اذ كان قد أبدل فيه كلمة بكلمة اخرى .. كـان مطلع القصيدة .. يقول :

اصيب النيل بالخطب الكريه ... وحل بـه الـذي لا يشتهيـه
ففـال المـوت مـن واديه سعـدا ... وسعد .. كان من موت يقيـه
وطـاح بامة فـي ثـوب فـرد ... فطـاح بامة ... ثـوب تيه
وآمال .. كسبنـاهـا رويـدا ... وكانت كـل شيء .. نرتجيـه
رمـاها بالدمـار .. بموت سعد ... وهـدم مـا نهضنـا نبتنيـه

واما الكلمة التي ابدلها الشيخ عبد المجيد الشافعي رحمه الله .. فكانت في البيت الثاني من البيتين التاليين وهما :

ويـا مصري .. كنت ظهير سعد ... فلا تكـن الظهيـر لشـانئيـه
لقـد اعطـاك سيف الحق (ماض) ... لكـي تسمـو .. فلم لا تنتضيـه

كان لفظ (ماض) بطبيعة الحال .. خطأ في الاعراب . لانه منصوب على الحالية .. فقال لي الاستاذ الشافعي : ما كان اغناك عن هذا اللفظ المعتل .. وقد كـان امامـك آخر ثلاثي .. صحيح غير معتل يؤدي المعنى ، ويستقيم به الوزن .. وهو (غضب) فتقول :

لقـد اعطـاك سيف الحق عضبـا . . . . . . الخ

ولم اكن اعرف هذه الكلمة الجديدة ، وصفا للسيف الماضي .. ولكني استفدتها من الاستاذ يومئذ .. فحيثما استعملتها بعد ذلك في الشعر .. فالفضل في ذلك يرجع للاستاذ الكريم الذي علمنـي اياها رحمـه اللـه ... وقد القيت هذه القصيدة في ذلك الحفل ، الذي اقامتـه المدرسة .. فكانت اول قصيدة القيتها في حياتي ، فـي حفل عام ..

ولست اريد ان اظلم هذا الشاعر الناشيء ، طالـب المدرسة الثانوية ، الذي وقف ليرثي زعيم الوطنية ، ويدعو جموع الشعب الى حفظ مبادئه ، والسير علـى منهاجه .. ولست ناقدا للشعر نفسه بقدر ما انا مسجل له .. ولكن اليس من الممكن ، ان اقول بعد هذه الحقيقة الطويلة ، ان نفس هذه الابيات المتوثبة في مطلع القصيدة ، تحـاول ان تنهج سبيل المتنبي ، ان لم يكن شوقي ، في هذه المقابلـة الواضحة بين الموت يغتال سعدا من الوادي وسعد يقـي الوادي من الموت ؟ وبين ان الموت قد اطاح « بامة في ثوب فـرد » وهو سعد .. فكان من نتيجة ذلـك ان اطـاح بامة اخـرى في ثوب تيه وكبرياء ، وهي مصر ؟ بل وفي اختيـار هذه القافية الصعبة ، المبنية على ضمير الغائـب ... ومع ذلك فقد تضمنت كلمات تقع فيها الهاء من بقية الكلمة مثل الكريه ، وانتيه ، والوجيه ، والنزيه ؟ مما نجد له ملامح في شعر المتنبي . وان لم يصبح شاعرنا من القوة بعد ، بحيث يستطيع ان يتعمق هذه الملامـح ، وان راح يسترشد بها ويسير على نهجها .

على انه لم يكد يمضي عامان اخران .. وقد رويته في حديث الحصاد السابق بعض ما قلت فيهما من شعـر السياسة ، او الاخوانيات .. او ما قلته فـي المناظـرات الادبية .. حتى وجدتني اقف مرة اخرى في ذات المكان ، من المدرسة السعيدية .. وقد اقامت حفلا كبيرا ، بمناسبة نقل ناظرها الاستاذ محمد رفعت احمد (وزير المعارف فيما بعد ، وعضو المجمع اللغوي) ، بعد احداث سياسية جرت في ذلك العام ، واحلال الاستاذ محمد فهيم بك رحمه الله محله ناظرا للمدرسة .

وقد رويت حديث هذه القصيدة الهافة .. فـي فصول كتبتها اخيرا بعنوان « انا والشعر والسعيدية »(1)

لا بأس من ان اورد بعضه هنا .. ثم اعلق عليه ، بما احسبه اثرا للمتنبي في شعر هذا الطالب الناشيء ..

قلت : « اما قصيدة ناظر المدرسة ، فقد القيتها في يوم ١٢ مارس ١٩٣٠ .. في الحفل الذي اقيم لهذا الغرض ، في غرفة المطعم من البلوك الثاني ، وهي اليوم مقر المكتبة .

ولست ادري لماذا سبقت هذه القصيدة ، دعاية كبرى لها بين الطلاب .. حتى ان طلبة القسم الداخلي لم يناموا في الليلة السابقة على القائها .. فبينما كنت اتهيأ للنوم في العنبر الاول من الدور الاول ، مع زملائي اذا بالمشرف على القسم الداخلي ، الاستاذ محمد عزت دميري ، رحمه الله .. يدخل علينا ، ومن ورائه فريق من الزملاء منهم محمد زكي علام ، ومحجوب جبالي منشاوي ، والقى خليل بشاوي ، وعبد الحميد العزيزي وغيرهم ممن لا اذكر اسماءهم الان ، وكلهم يشيرون له علي .. فقد سألهم عن سبب عدم نومهم ومناقشاتهم ، فقالوا له ان « عامر بحيري » سيلقي قصيدة غدا ...

فقال لهم : ومن هو عامر بحيري هذا ! ثم انه صحبهم الى عنبر نومنا ، حتى وصل الي في هذه الزفة الكبرى .. سألني الاستاذ عزت :

ــ هل انت عامر بحيري ؟

قلت : نعم

قال : هل انت الذي ستلقي قصيدة غدا ؟

قلت : نعم .

قال : وما مطلعها ؟ قل لي ما هو مطلعها ؟

وارتج علي ، وحدث لي ارتباك ، فاني لم اكن اريد ان اطلع احدا على شيء من القصيدة حتى افاجئهم بها في الحفل . ولكني امام اصرار الاستاذ المشرف على القسم الداخلي ، لم اجد بدا من اجابته .. وحضرني في ذلك الوقت مطلع لاحدى قصائد المتنبي ، من نفس وزن القصيدة وهو وزن الكامل .. فقلته ، وهو :

لك يا منازل في القلوب منازل   اقفرت انت ، وهن منك اواهل !

وسكت الزملاء ، ولعل بعضهم قد فهم .. اما الاستاذ عزت دميري ، فقد فكر قليلا ، ولم يعجبه البيت بصفة عامة . ثم قال لي :

ــ الشطر الاول جيد .. اما الشطر الثاني ففيه ثقل .. يجب ان تغير لفظ « هن » .. ولفظ « اواهل » .. ابحث عن الفاظ سهلة مناسبة !

ثم انصرف ، وانصرف معه فريق الزملاء ... دون ان يعرف انه انما كان ينقد « المتنبي » .. شاعر العربية الاشهر ... »

هذا ما ذكرته خاصا بالحفل ، وتلك الدعاية التي كانت تسبق ما اقوله من الشعر ، في هذه المدرسة ، التي خرجت كثيرا من الافذاذ ، والرواد في شتى نواحي العلم والادب .. وليس من القليل ان يكون من متقدميهم في الشعر ، استاذنا الكبير الشاعر عزيز اباظه رحمه الله .. على انني لم اكن الا طالبا ناشئا ، اتلقى هذا الوحي ، دون ان اعرف سببا لهذا السيل المنهمر ، الذي حرمني كثيرا من سكون الحياة وهدوئها .. فمن العجيب مثلا هذه الدعاية التي تسبق القاء القصيدة .. ولكن هكذا كان ..

اما القصيدة ذاتها .. فقد ذكرتها ، واشرت الى كثير من ابياتها ، ولا بأس من ايراد هذه الفقرة ايضا .. قلت :

« اما قصيدتي التي القيتها في اليوم التالي . فكانت تبدأ بهذا المطلع :

يا دار .. هل دارت عليك دوائر   ام ظل فيك من الجمال بوادر ؟

ثم تنتقل القصيدة الى ابيات من الغزل .. فتقول :

ما للفؤاد اصابه سهم الضنى   لما تصرف في الفؤاد . الهاجر
والعين عد اسرت باحداق المها   لما مشى الوجه الصبوح الساحر
ان الظباء النافرات ، الباهرا   ت .. لهم في هذي القلوب مآثر
قد صدن حبات القلوب .. فكلنا   رهن القيود .. وكل قلب طاهر

وكان ناظر المدرسة المحتفى به ، قد اقام في المدرسة « ناديا » للطلبة .. هو احد تلك المآثر .. فقلت :

في ذلك النادي .. ارى ذكرى لهم   وبمثل ذكراهم .. يلذ الذاكر

ثم يأتي بعد ذلك بيت القصيد .. الذي صفق له السامعون طويلا .. لانه يحمل اسم المحتفى به في تورية بالشطر الاول .. كما يحمل وظيفته مع تورية اخرى .. في الشطر الثاني .. وهو :

ورفعت .. علقوا باطراف السهى   حتى تمتع بالنجوم .. الناظر !

ثم يبدأ الشعر انطلاقته البلاغية ، من التشبيه والكناية والاستعارة .. متخيرا اجمل الالفاظ ، والطف المعاني :

واذا البحار تلاطمت لجج بها   غمر الجميع ، وفاض .. بحر زاخر
والبحر فيه مناهل ، وموارد   ومكارم ، ولآلىء ، وجواهر
ان غاص فيه الغائصون وعمقوا   فالدر في ايديهم .. متوافر
او احجموا .. وتهيبوا امواجه   عادوا اليك .. وليس فيهم ظافر
ولقد علمنا منه كيف مواقف   للمجد ، يثبتها الشجاع القادر

وينطلق طالب الثانوية العامة ، الواقف بالسطح ، يتطلع الى قمة الشعر العالية .. محاولا مجاراة « المتنبي » في مبالغاته ، ومبتكراته ..

كنا بلا شيء .. نحاول مقنعا   فاليوم لا بسوى الكمال نفاخر
حتى قطعنا في شهور رحلة   لو سايرتنا الشمس .. خف الباهر
او سارت الانفاس سير ضعفنا   ملا السماء عليه مسك عاطر
فلو انه قاد السفين .. رسا بنا   حيث البلاد حدائق ، وازاهر
لو انت نظار .. ونحن مدارس   لم يبق فينا بالجهالة سادر

ثم يأتي بعد ذلك البيت ، الذي سارت به الركبان ، في فناء المدرسة السعيدية .. وردهاتها وبين فصولها .. زمنا غير قصير .

لم اعي في صوغ القريض مدائحا   اني وشعري في مديحك .. عامر

وذكرت الناظر الجديد الاستاذ محمد فهيم بك ، موريا باسمه ايضا .. فقلت :

« متفهم » .. في مثل فعلك حالنا   وعلى مصالحنا .. حريص ، ساهر

(١) هذا الكتاب مخطوط ، وهو تحت الطبع الان ..

اعتراف

فيما التفاتك ،قالت ، قلت اغواني — هذا المحيا ،وحسبي لحظك الجاني
اولا التفاتة عينيك وسحرهما — لما استجابت لداعي السحر اجفاني
قالت لعلك مجنون فقلت لها — بل شاعر زج بي في الشعر شيطاني
فرب بيت غدا سجني ومعتقلي — شيدته من جراحاتي واحزاني
اني لاهوى العيون السود قاهرة — ولو تجنت على عرشي وسلطاني

ودیع دیب

وختمت القصيدة بهذا البيت الذي لا يخلو من براعة مقطع :

والناس في هذي الحياة لحكمة — ماض وآت .. والحياة بصائر ! »

هذه هي القصيدة ، وتلك قصتها ..

ولعلي لست بحاجة ، وانا اقف موقف الناقد ، من ناشيء في الشعر ، ما زال يجتاز عامه السابع عشر .. ان اقول — دون ان اظلمه — ان بصمات المتنبي ، تظهر بعض الظهور في قصيدته .. ولا اعني بذلك ان شخصيته قد محيت في شخصية المتنبي ، ولكني ازعم — وانا اعرف الناس به — انه كان قد هضم شعر هذا الشاعر الكبير ، الذي كان رائدا له اول حياته ، وفي مطلع شبابه ..

ان القصيدة تبدأ بابيات في الغزل ، وهذا من سمات المتنبي ، في قصائده الاولى .. وان تنكر لهذا المبدأ فيما بعد فقال :

اذا كان مدح فالنسيب المقدم — أكل فصيح قال شعرا .. متيم ؟

والقصيدة تحتوي على بعض المبالغات ..

كنا بلا شيء نحاول مقنعا — لو سايرتنا الشمس خف الباهر .. او سارت الانفاس سير ضعيفنا .. لو انت نظار ونحن مدارس الخ .. ولكني لا اريد للمرة الاخيرة ان اظلم هذا الشاب فوق ذلك ، وانا في موقف الناقد والمنقود في آن واحد ..

هذا فيما يتصل بتأثري بالمتنبي ..

اما عن المتنبي نفسه .. فقد صحبته كما قلت في ديوانه ، وانا اقرؤه على ابي .. ثم انتقل بالحديث نقلة بعيدة .. ليس هذا المقال موضعها الصحيح .. لاجد نفسي في كلية الآداب ، استمع الى محاضرات الاستاذين الجليلين الدكتور طه حسين ، والدكتور احمد امين عن المتنبي .. ولا شك انني كنت استزيد من علم هذين العالمين الجليلين ... ولكن الذي كان يحيرني ، ويحزنني في نفس الوقت، انهما كانا يهاجمان المتنبي باعتباره من شعراء المديح ... ويتهمانه بلفظ كان يحز في نفسي وهو « الاستجداء » ... وفي يوم كان الاستاذ احمد امين ، يقول ذلك في محاضرته، وكنت قد استمعت اليه في الليلة السابقة ، يتحدث في المذياع بمناسبة عيد الميلاد الملكي .. فقلت :

— ان هذا المديح لا يقتصر على الشعراء فقط ... ولكن هناك كلمات نثرية توجه الى الكبراء تحمل سمات القصيدة الشعرية تماما ، ويجاز قائلوها كما يجاز الشعراء.

ولم يزد العالم الجليل ، عن ان يرفع راسا وهو يبتسم .. ليقول :

— من الذي تكلم ؟

فاشير له الى انني انا الذي تكلمت .. ولكنه يخفض رأسه ، ويمضي في محاضرته .. رحمه الله !

اقول هذا .. وانا اقرأ في هذه الايام .. كتابا طريفا عنوانه « المتنبي .. يسترد اباه » .. يذهب فيه صاحبه الى ان المتنبي ليس ابن سقاء الكوفة .. وانه لم يعش مثله حينا يبيع الماء . وحينا يبيع ماء المحيا .. ولكنه الابن الشرعي للامام الثاني عشر ، محمد المهدي .. بن الحسن العسكري . وان سبب اخفاء نسبه ، هو اختفاء ابيه ..

وليس هنا مجال البحث في تفنيد هذا الراي ، او الموافقة عليه .. ولكنني اقول ان عودة اخيرة لي ، منذ بضع سنوات قريبة .. لديوان المتنبي .. اعطتني انطباعا شديدا .. بان المتنبي « علوي » بصورة من الصور ، وهو موضوع ارجو ان اتعمقه بحثا ، اذ هو خاص باستاذي الاول والاثير عندي على طريق الشعر العربي ..

وقد قلت في اول هذا الحديث .. انني التقيت في الشباب باربعة من الرواد ذكرت منهم حافظ ابراهيم ، ثم ابا العلاء المعري ، ثم المتنبي .. اما رابعهم فهو شوقي . وربما اضفت اليه شاعرا غير عربي ، عرفته في المدرسة الثانوية ايضا .. وهو شكسبير .. ولكل من هؤلاء الشعراء حديث سابق ولاحق في هذا الحصاد ان شاء الله .

مصر الجديدة — عامر محمد بحيري



الحاج محمد امين الحسيني

الحاج محمد امين الحسيني

هذا المؤتمر الاسلامي العالمي في القدس اواخر ١٩٣١ جذوره في مكة ١٩٢٦

بقلم عجاج نويهض

* * *

المؤتمر الاسلامي الكبير الذي دعا الى عقده في القدس الحاج محمد امين الحسيني بصفته رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ومفتي فلسطين الاكبر ، رحمه الله ، فانعقد هذا المؤتمر اواخر سنة ١٩٣١ (٣٥٠ هـ) لم يكن بغير دواع وجذور عميقة . من هذه الجذور تلك المناجيات الاسلامية الحميمة التي كان يتبادلها حول الكعبة الشريفة صاحب هذه السيرة الموجزة ، وصفيه الصفوة المختار المجاهد السباق ، المتميز بمكارم الاخلاق والحواشي الرقاق ، مولانا محمد علي احد قادة الهند ، مصطفا مع غاندي بعد الحرب العالمية الاولى على صعيد واحد في مضمار الحركة الوطنية . وتلك اللقاءات بين هذين العظيمين كانت في ليالي ايام مؤتمر مكة المكرمة ١٩٢٦ وقد تكلمنا عنه في الفصل السابق . وفي ظل الكعبة ولد الامل ان يعقد في المسجد الاقصى او بجواره هذا المؤتمر الذي نتكلم عنه هذه النوبة في « الاديب » ، في اقرب وقت بعد ١٩٢٦

ومن الجذور او الدواعي لعقد هذا المؤتمر في القدس، اطراد استفحال الخطر الصهيوني الناشبة مخالبه بفلسطين ، بل هذا السبب هو الاكثر وعنه تنحدر الاسباب الاخرى التي هي جداول تصب في مجراه . وكانت فلسطين بعد مضي ١٢ سنة على اخذها بسياسة التهويد البريطانية ، واستشراء داء بيع الاراضي لليهود بمغريات متنوعة ، وبعد الثورات العديدة بين ١٩٢٠ – ١٩٢١ وثورة البراق ١٩٢٩ قد ثقل عليها العبء ، وتجسمت في حياتها القومية اخطار الهجرة اليهودية ، وصار من العرب اهل البلاد من لا ارض لهم ولا شبر ولا حفنة من تراب ، وشاعت « بطالة » العامل العربي ، وكل هذا نتائج قوانين وانظمة وضعتها دولة الانتداب مما يساعد على انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين كما جاء في صك الانتداب .

زد على هذا ان الحركة الصهيونية العالمية قد ضاعفت نشاطها نحو فلسطين ، وكانت تعقد في اوروبا على الغالب كل سنتين مؤتمرا صهيونيا عالميا تدعو فيه اليهود عامة وعناصر الصهيونية خاصة لبذل المال والهجرة الى فلسطين (١) وكانت الصهيونية العالمية كلما رات هتلر يتعالى في سلم الصعود الى تولي الحكم في المانيا ، ضاعفت من وسائلها للهجرة وشراء الارض . وكانت في سنة ١٩٢٩ وقعت ثورة البراق هذه الواسعة الافاق ، واختطفت من اليهود الانفاس والارماق وجاءت « لجنة شو » الدولية للتحقيق فلم تستطع انكار الحقائق العربية (٢) كما جاء في تقريرها . وتناولت « لجنة شو » مسالة انتقال الاراضي الى اليهود وصيرورة فريق من مزارعي العرب مشردين لا ارض لهم ولا قرار يسكنون اليه . وكانت الحكومة الفلسطينية قد عينت لجنة لدراسة هذه المسالة واختارت رجلا بريطانيا للقيام بهذه المهمة وله خبرة سابقة في الهند هو « السر جون هوب سمبسون » ، فوصف وضع العربي الذي امسى ولا ارض له ، وانذر بسوء العقبى اذا اطردت الحال فاقترح منع بيع الارض لليهود ما دامت « البطالة » العمالية شائعة في العرب . فاصدرت الحكومة البريطانية ما اسمه « الكتاب الابيض » جارت فيه معظم ما جاء في التقرير ، فهباليهود « عصابة » واحدة يحتجون ، فتراجعت الحكومة عن موقفها . فاي امل حي بعد هذا للعرب في الحياة .

زد على هذا كله ان ذهب سنة ١٩٣٠ وفد عربي فلسطيني الى لندن للدفاع عن القضية ، وكان على راس هذا الوفد موسى كاظم باشا الحسيني رئيس المؤتمرات العربية واللجنة التنفيذية ، والحاج محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، فمكث هذا الوفد في لندن بضعة اشهر ولكن على غير جدوى . فازدادت معرفة المفتي وخبرته الحكيمة سدادا بمرامي الوطن القومي اليهودي وهي في النهاية الوصول الى الدولة اليهودية .

ومما يزيد من مخاوف عرب فلسطين ، وهم يجتازون هذه المحنة الدائمة ، انهم اذا تلفتوا الى جيرانهم واخوانهم

● راجع « الاديب » عدد اغسطس الماضي صفحة ٣٢

عرب الاقطار المجاورة وجدوهم على امل الانعتاق يوما من الاستعمار البريطاني في العراق ومصر ، والفرنسي في سوريا ولبنان ، اما هم عرب فلسطين فباتوا بعد ١٢ سنة من برامج التهويد السريع ، لا يرون الا غدا محلولكيا ومستقبلا مظلما ، والحراب البريطانية فوق رؤوسهم ، والقوانين الجائرة تكبلهم تكبيلا وتجعل منهم عبيدا مربوطين في عجلة الصهاينة .

ففي سوريا كانت « الكتلة الوطنية » تناضل الفرنسيين وسنة ١٩٣٠ وضع المفوض السامي مسيو بونسو دستورا على رايه هو ، لسوريا على ان تكون جمهورية بمجلس نواب منتخب لاربع سنين ، ولكن بعد ان جعل منطقة اللاذقية جمهورية ايضا .

وفي العراق كان الاستعداد قائما حسب معاهدة ١٩٢٧ مع بريطانيا لدخول عصبة الامم عضوا دوليا سنة ١٩٣٢ وسنرى العراق قد حصل على هذا (٣) مع بقاء العراقيل البريطانية في طريقه الى الحرية التامة . نعم في سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٥ (٤) افتتح خط انابيب البترول من الموصل الى طرابلس وحيفا ولكن الوارث الحقيقي لهذا كان العراق الموفق .

وفي مصر سنة ١٩٣٠ كان مصطفى النحاس رئيس الوزارة للمرة الثالثة وفشلت مفاوضات لندن للوصول الى اتفاق مع بريطانيا ، ثم جاء بعده اسماعيل صدقي رجل الملك فؤاد وحكم بعنف وعطل الدستور وطارد الوفد وبقي في الحكم الى ايلول ١٩٣٤ فجاء بعده محمد توفيق نسيم فاستمر مدة قليلة ، وفي سنة ١٩٣٥ كانت ازمة الحبشة فهاج حزب الوفد ثم اتحدت الاحزاب واستعادت دستور ١٩٢٣ الذي عطله اسماعيل صدقي ، وتوفي الملك فؤاد ١٩٣٦ ثم عاد الوفد الى الحكم ودخل في المفاوضات وانتهى الى معاهدة سنة ١٩٣٦ . واذا كنا ذكرنا هنا ما ادركته مصر بعد موعد عقد المؤتمر في القدس لسنوات ، بعد ١٩٣١ فلكي نبين ان الجهاد مع الامل ، ولو طال العمل ، وضاقت السبل ، فلا بد من نصر كالشعل . اما فلسطين، فبريطانيا والصهيونية سدتا عليها منافذ السهل والجبل .

والمملكة العربية السعودية كانت في مراقي صعودها الى نجم سعودها ، وهي تعقد معاهدات الصداقة مع العراق واليمن والاردن وتركيا وايران ، فما جاءت سنة ١٩٣٠ الا وقد اتمت كل هذا ، وهي بفضل الامام عبد العزيز الباني المنشيء الى مزيد . ففي سنة ١٩٣٠ ــ ١٩٣١ اذا القيت نظرة عامة على هذه الشقيقات وجدتهن في تأهب لفجر يوم جديد .

واعلام النضال وراياته تنتقل من بطل الى بطل ، وجماعة الى جماعة ، عن طريق الثورات والسجون والمنافي والابعاد .

المؤتمر : انتصاراته وتغلبه على المكايد الدولية والعراقيل المحلية .

كان الاستاذ الزعيم المصلح ، عبد العزيز الثعالبي يقيم في القدس سنة عقد المؤتمر ، وهو من اوفى اصدقاء الحاج امين ، رحمهما الله ، فكانا يتعاونان في التخطيط ودراسة برنامج المؤتمر . وكلف الحاج امين صفيه الثعالبي بوضع نظام المؤتمر ودستوره ، ليقدم ذلك الى المؤتمر اول انعقاده فينظر في ذلك ويرى فيه ما يشاء . فقام الثعالبي بهذا وهو جد خبير بهذه الامور الدقيقة . وقد وضع نظام المؤتمر ودستوره وانا بين يديه جلسة بعد جلسة يوما بعد يوم في دار صديقنا « اديب فلسطين » اسعاف النشاشيبي وكان من اعضاء المؤتمر . وانما اسجل هذا للتاريخ ، وقد ذكرته مرة سابقة في مقالي : « الثعالبي : انطباعاتي عنه في فلسطين » ، المنشور في « الاديب » عدد سبتمبر ١٩٧٤ .

وهذه هي اسماء الوفود العربية والاسلامية التي شهدت المؤتمر نسوقها على ترتيب الابجدية وهي ٢٢ وفدا :

تركستان الصينية . تركيا . تونس . جاوى . الجزائر . الحجاز . الاتحاد السوفياتي . سوريا . سيلان شرق الاردن . (المملكة الاردنية الهاشمية فيما بعد) طرابلس الغرب وبرقة (ليبيا فيما بعد) . العراق . ايران . فلسطين . ققفاسيا . لبنان . مصر . المغرب الاقصى . نيجيريا . الهند ، اليمن . يوغوسلافيا .

وابرز الشخصيات في المؤتمر على اختلاف البلدان والاقطار :

السيد ضياء الدين الطباطبائي ، رئيس الوزارة الايرانية سابقا ومن حكماء الاصلاح في العالم الاسلامي ، الاستاذ عبد العزيز الثعالبي زعيم تونس وصنو الطباطبائي في القادة الفكرية والاصلاحية . شاعر الاسلام الاكبر وشاعر الهند الفيلسوف محمد اقبال .. مولانا شوكت علي من قادة زعماء مسلمي الهند . محمد علي باشا علوبه ، وزير الاوقاف سابقا في مصر ومن قادة الاصلاح . الامام السيد محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، ورأس مجتهدي الشيعة العراق . الاميرسعيد شامل ، حفيد الشيخ شامل الثائر الكبير في الداغستان بالقرن الماضي . عبد الرحمن باشا عزام امين الجامعة العربية فيما بعد . بشير السعداوي من زعماء طرابلس وبرقة . غياض اسحاقي من علماء

(١) ومن اسباب عدوان اليهود على البراق الشريف ١٩٢٩ عدوانا مكشوفا جر الى الثورة العنيفة ، تحريض المؤتمر الصيوني علنا على هذا فنالوا جزاءهم بالثورة .

(٢) اراد الحاج امين الحسيني ان يجعل الدفاع العربي امام هذه اللجنة الدولية ممثلا ما امكن البلاد العربية فجاءت وفود المحامين العرب والمسلمين من مصر والعراق وسورية ولبنان .

(٣) لكاتب هذه السطور كتاب مترجم ومطبوع بمطبعة « العرب » في القدس سنة ١٩٣٢ عنوانه : « العراق او الدولة الجديدة » .

(٤) حضر كاتب هذه السطور حفلة الافتتاح في حيفا ، مدعوا بصفته مراسل « الاهرام » المصرية .

الاورال . السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنـار » وداعية الاصلاح ــ مصر . مولانا شفيع داوودي من كبراء علماء الهند . النائب العالم عبد القهار مدكر ــ الجاوى . السيد غلام رسول مهر ــ الهند . السيد محمد زبارة ــ اليمن (ممثل الامام يحي) الاستاذ محمد بهجت الاثري من علماء العراق . الاستاذ ابراهيم الواعظ ــ العراق . سعيد تابت ــ العراق . الامير سعيد الجزائري ــ دمشـق والجزائر . الشيخ سالم مفتيتج افندي ــ البوسنـه . شكري القوتلي ــ سوريا . الدكتور رضا توفيق ــ عمان . صلاح الدين بيهم ــ بيروت . وكوكبة علماء جبل عامل : الشيخ احمد عارف الزين منشيء « العرفان » ، والشيخ احمد رضا ، والشيخ سليمان ظاهر . سليمان السـودي ــ شرق الاردن . الحاج محمد بنونة ــ المغرب الاقصى . رياض الصلح ــ لبنان . واما وفد فلسطين فقد شمل : السيد الحاج محمد امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ومفتي فلسطين الاكبر وزعيم البلاد . اسعـاف النشاشيبي . الحاج توفيق حماد ــ نابلس . المحامي عوني عبد الهادي ــ القدس . الشيخ عبد القادر المظفر ــ القدس . احمد حلمي باشا عبد الباقي ــ القدس . امين التميمي ، عضو المجلس الاسلامي الاعلى . الشيخ اسماعيل الحافظ عضو محكمة الاستئناف الشرعية . الشيخ توفيق الطبيشي مفتش المحاكم الشرعية . الشيخ محمد الصالح رئيس كلية روضة المعارف الوطنية ، المحامي الشيخ راغب ابو السعود . الشيخ حسن ابو السعود قاضي الرملة . الشيخ سعيد الخطيب الجماعي ، رئيس لجنة حراسة الاماكن المقدسة الاسلامية وخطيب المسجد الاقصى . الدكتور حسام الدين ابو السعود المحامي . رشدي الشوا . رشيد الحاج ابراهيم عضوا للجنة التنفيذية العربية . معين الماضي عضو اللجنة التنفيذية العربية . جمال الحسيني عضو اللجنة التنفيذية العربية وامين سرها . عزة دروزه عضـو اللجنة التنفيذية العربية . صبحي الخضراء مدير اوقاف اللواء الشمالي . عجاج نويهض مساعد مفتش المحاكم الشرعية ــ القدس . وهيآت الوفود جمعاء ، يزيد عـدد رجالها على (١٥٠) شخصية .

افتتح المؤتمر في المسجد الاقصى المبارك ليلة الاسراء المباركة ، وهي ليلة الاثنين ٢٧ رجب ١٣٥٠ ــ ٧ كانون الاول ١٩٣١ واختير سماحة السيد الحاج محمد امـين الحسيني رئيسا له . وتليت قصة المعراج الشريف ولم يسبق لبيت المقدس ان رأت مؤتمرا من قبل كهذا ، سعة تمثيل ، وهيبة وجلالا ، وعزما وتصميما ، ورص القوى وتعبئتها عربيا اسلاميا من اجل فلسطين وام بالمسلمـين في الصلاة في المسجد الاقصى السيد الامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، وفي اليوم التالي نشرت جريـدة « التيمس » اللندنية نبأ الصلاة ، وقالت ان هـذه المرة الاولى منذ ظهرت الشيعة نرى مجتهدا اماما شيعيا يصلي بالمسلمين في المسجد الاقصى اماما . واستمر المؤتمر يعمل ويعقد جلساته عشرة ايام متوالية (٢٧ رجب الى ٧ شعبان ١٣٥٠ هـ ــ ٧ ــ ١٧ كانون الاول ١٩٣١م) وبلغ عـدد جلساته سبع عشرة جلسة وانتخب المؤتمر اربعة نـواب لسماحة الرئيس الحسيني ، وهم : السيد ضياء الدين الطباطبائي ــ ايران . محمد علي علوبه باشا ــ مصـر . شاعر الاسلام محمد اقبال ــ الهند . السيد محمد بـن محمد زباره ممثل الامام يحيى حميد الدين وانتخب اربعة امناء ، هم :

رؤوف باشا مندوب سيلان . ابراهيم الـواعظ ــ العراق . عزة دروزة ــ فلسطين . الشيخ عبـد القـادر المظفر ــ فلسطين . وانتخب مراقبان : شكري القوتلي ــ سوريـا . رياض الصلح ــ لبنان . وانتخب امين مال : احمد حلمي باشا عبد الباقي ــ القدس .

مقـررات المؤتمر :

١ ــ صيانة مكان البراق الشريف من العـدوان اليهودي .

٢ ــ انشاء جامعة اسلامية في القدس تسمى جامعة المسجد الاقصى .

٣ ــ تخليص سكة حديد الحجاز (وهي وقـف اسلامي) من السيطرة الاجنبية الفرنسية البريطانية في سوريا والاردن وفلسطين .

٤ ــ مشروع الدعوة والارشاد على نطاق يشمل العالم الاسلامي وعلى غرار المشروع الذي كان قد انشاه في مصر قبيل الحرب العامة الاولى السيد الامام محمد رشيد رضا صاحب (المنار) .

٥ ــ طلب الغاء « الظهير البربري » فـي المغـرب وكانت الجمعيات التبشيرية تعمل تحت حماية فرنسـا لتنصير البربر العنصر الاسلامي الكريم .

والتفت المؤتمر الى امور اخرى لها مكانتها من الاهمية فقرر بشأن هذه الامور ما يلي :

١ ــ شكر العرب النصارى في فلسطين وشـرق الاردن لاسهامهم القومي المستقيم في الاعباء الوطنية وشد عـروة العروبـة .

٢ ــ توجيه تحية اكبار وشكر الى الوفد السوري في جنيف لمثابرته على الدفاع عن القضية السورية والفلسطينية لدى « عصبة الامم » وسائر المحافل الدولية والراي العام الغربي (٥) .

٣ ــ نشر رسم موقظ الشرق الحكيم السيد جمال الدين الافغاني في ارجاء العالم الاسلامي مع موجز سيرته .

٤ ــ الاحتجاج على الاتحاد السوفياتي لسوء معاملة المسلمين في القفقاس والاورال وارهاقهم .

٥ ــ وقرر المؤتمر ــ كما قرر مؤتمر مكة سنة ١٩٢٦

ـ ان ينعقد كل سنتين مرة ، وان يكون من مسؤولية اللجنة التنفيذية الاعداد للمؤتمر الثاني (١٩٣٣ ـ ١٣٥٢) وقرر ان تترجم مقرراته الى اللغات الاسلامية وانتدب محمد اقبال لترجمتها الى الاوردية .

اللجنة التنفيذية : راى المؤتمر ان اللجنة التنفيذية التي ستكون عماد النجاح في العالم الاسلامي ، ونقطة البيكار فلسطين ، ان تكون موسعة باوضاعها كاملة باجهزتها ، فجعلها مؤلفة من ٢٦ شخصية تمثل العالم الاسلامي القاصي والداني ، وتألف مكتب اللجنة (بجوار المسجد الاقصى) هكذا : (سماحة السيد الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية) الامين العام : السيد ضياء الدين الطباطبائي . الامين العام المساعد : رياض الصلح . امين المال : محمد علي علوبة . الاعضاء : الامير سعيد شامل . عبد العزيز الثعالبي . نبيه العظمه .

آثرنا ان ناتي بذكر هذا كله في هذا الفصل لنسجل به تاريخيا آخر مؤتمر كبير عقده المفتي الحاج محمد امين الحسيني في فلسطين ومعظم من ذكرنا من هؤلاء الكرام المناضلين المجاهدين قد انتقلوا الى رحمة ربهم تعالى في الآخرة وهم عنده من المكرمين .

اما تنفيذ المقررات فلم يكتب لها شيء يذكر من حظ النجاح للاسباب التالية : بعد وصول هتلر الى الحكم في المانيا في شهر اذار ١٩٣٣ صار اليهود يلجأون الى فلسطين باعداد كبيرة ، وحكومة فلسطين تسهل لهم الهجرة ، وتتساهل معهم في اموركثيرة ، فصارت فلسطين تواجه هذا الطوف اليهودي الالماني وتضيق بفلسطين المسالك . وصارت المواجهات بين العرب من جهة ، واليهود والبريطانيين من جهة ، تنقلبدموية فيقتل الشهداءويصاب الجرحى ، ولا يمكن مع هذه الاحوال ان تتمكن اللجنة التنفيذية من العمل . وصار اليهود يستوردون الاسلحة .

وفي سنة ١٩٣٥ كانت حركة الشيخ عز الدين القسام وصحبه المجاهدين قرب (يعبد) شمالي فلسطين، بالثورة المسلحة علنا ، مثلا ، في البطولة هز البلاد هزا عنيفا . وسنة ١٩٣٦ كان الاضراب العربي الكبير ستة اشهر في طول البلاد وعرضها واعتقال الالاف من العرب وزجهم في المعتقلات فدخلت فلسطين في دور الثورة المسلحة وسنة ١٩٣٧ وفي الخريف منها برح الحاج محمد أمين الحسيني فلسطين الى بيروت بحرا في خبر خطير طويل ثم بعد سنتين وقعت الحرب العالمية الثانية . والى هنا نتتهي بهذه الفصول من ايجاز سيرة فقيد فلسطين وراعيها ، وفقيد العروبة والاسلام ، تغمده الله برضوانه واسكنه عالي جنانه .

نصب اليهود الحبائل والمكايد : ما تقدم يمكن ان يعد على الجملة تسجيلا لهذا المؤتمر الاسلامي الكبير في القدس آخر ١٩٣١ ورأينا من الواجب علينا استيفاء خبره واثره، من ناحية انه يؤلف جزءا من صاحب السيرة . وقد بقي رحمه الله يدير البلاد ويرعى القضية ست سنوات تالية ، الى خريف ١٩٣٧ وفي خلال هذه المدة عقدت في فلسطين عدة مؤتمرات اسلامية فلسطينية كانت تابعة لارشاده وتوجيهه ، ولكن هذه المؤتمرات دون المؤتمر الاسلامي الكبير بمراحل .

ومن الامانة التي في العنق ، والعهد الذي لم يخلق ، ان نبين للقارىء في سنة ١٩٧٥ بعض خفايا الزوايا المتصلة بنصب الحبائل للمؤتمر متخذة شكل المقاومة للحاج امين رئيس البلاد ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى سنة ١٩٣١، فنقول ، ولا نفصل لان الايجاز اولى :

ان العراقيل المحلية ، والتي صبغتها سياسية مناوئة لمشروع هذا المؤتمر بمناوأة الحاج امين شخصيا ، وقد قام بهذا فريق من اهل البلاد ـ كل ذلك ذاب لحينه ذوبان الطحالب على الصخور في الربيع ، وتلاشي الحشائش تحت الشمس المحرقة . وقد تمثل في هذه الحركة هذا الفريق من اهل فلسطين والرجال المنتمون الى الملك فؤاد في مصر ، رحمه الله ، والملك على ما يظهر كان لم يزل الى ذلك التاريخ يحلم بالخلافة ، كما كان يحلم بامارة او ملكية مصطنعة منسوجة من الفرنسيين او الانكليز واليهود ابن اخيه عباس حلمي الثاني في الوقت نفسه، في سوريا او فلسطين .

الحبائل الكبرى المنسوجة من لعاب الشيطان حقا ، ونصبت لتقتلع اوتاد المؤتمر الوطيد العمد ، وهو كالعرين عليه اسد ، تلفيق اليهود ان هناك مشروعا مدروسا مهيئا، تام الاعداد بعد طول سهر وسهاد ، وهو انشاء خلافة فاطمية اسماعيلية بكون آغاخان اول خليفة منها . ومع ان « عباقرة »اليهود يعلمون ، مهما اتسع جهلهم ان الخلافة الاسماعيلية لا تقع في العالم الاسلامي السني ، غير انهم قصدوا بهذا خلق جو يعكر على المؤتمر الاسلامي في القدس تعكيرا شنيعا جدا . وجعلوا بث الدعاية لهذه الخلافة الاغاخانية الاسماعيلية عن طريق ارقى « المحافل » الماسونية في العالم .

ومن ذبذبة هذه الموجات القصيرة والطويلة تسندها المحافل الماسونية في العالم ، قلق الملك فيصل الاول في بغداد ، وكاد يخال السراب ماء ، والغمام الادكن ركاما ، فكتب كلمة شديدة الخصوصية من بغداد الى سماحة

---

(٥) اصل اشتقاق الوفد السوري في اوروبا هكذا : سنة ١٩٢١ اجتمع مندوبو الاحزاب السورية والفلسطينية في جنيف واختاروا ميشيل لطف الله رئيسا والسيد رشيد رضا والحاج توفيق حماد نائبي رئيس والامير شكيب ارسلان سكرتيرا عاما وسليمان كنعان واحسان الجابري وامين التميمي ووهبه العيسى وشبلي الجمال ورياض الصلح ونجيب شقير وصلاح عز الدين وطمان العماد وتوفيق اليازجي اعضاء ومع طول الزمن لم يبق في جنيف غير ارسلان والجابري والصلح ثم عاد الصلح الى بيروت في نحو السنة الثلاثين وبقي الوفد مؤلفا من ارسلان والجابري الى سنة ١٩٣٦ .

الحسيني في القدس يسأله جلاء الحقيقة . فبلغني بعد انتهاء المؤتمر ان السيد الحلاحل الحاج امين ، طيب الله ثراه ، كتب جوابا بخط يده مختصرا الى الملك فيصل بدد فيه اضاحيك الاقاويل . كما ان السيد الحسيني كان قبل عقد المؤتمر ذهب الى القاهرة واكد للملك واسماعيل صدقي ان المؤتمر لا يعنيه غير امر فلسطين وصد الاجتياح الصهيوني .

هذه الخفايا من تلك الزوايا قد عرف بعضها في ذلك الوقت معرفة مشوهة ، وبقي بعضها الاخر مدخرا حتى اليوم .

الايام التي قضاها السيد الفطريف الحاج محمدامين الحسيني في ادارة جلسات المؤتمر عشرة ايام ومعاناة اقتلاع الاشواك ، من هنا وهناك ، انزل به عظيم النهك والارهاق ، حتى كان يستعين كل ليلة بحبوب طبية مسكنة ، فكأن اعصابه كانت من فولاذ رحمه الله .

في اثناء المؤتمر خطب المجاهد القديم ، سيد اللهاميم ، عبد الرحمن عزام ، البادىء جهاده في طرابلس (ليبيا) ١٩١٢ فحمل على ايطاليا لوحشيتها في طرابلس وبرقة ، حملة شعواء ، فاخرجته السلطة البريطانية من فلسطين مخفورا الى الحدود فاحتج المؤتمر على هذه الفعلة ، ولكن الاحتجاج في واد ، واوتاد الاستعمار في واد . وكان عبد الرحمن عزام حفظه الله ومد في عمره ، من اركان المؤتمر .

كانت تركيا غير ممثلة في المؤتمر وانما ممثلة بطريقة ما . وكان العلم التركي مرفوعا في قاعة المؤتمر الكبرى – في كلية روضة المعارف الوطنية – من جملة الاعلام الاسلامية فجاء قنصل تركيا ذات صباح وانزل علم حكومته من مكانه .

بعد اخراج عبد الرحمن عزام من فلسطين بالقوة ، طلب المندوب السامي البريطاني من رئيس المؤتمر سماحة الحسين ان يوقع تعهدا مضمونه الا تخرج القضايا التي تطرح امام المؤتمر عن نطاق معين ، فرفض المفتي الموافقة على اعطاء هذا التعهد وقال للمندوب : ان المؤتمر اسلامي محض وقضاياه اسلامية للذود عن فلسطين ، فهو مفتوح الابواب وليس مؤتمرا مغلقا فهدد المندوب باتخاذاجراءات خاصة تضمن عدم مجاوزة المؤتمر الى ما ابعد من النطاق العادي .

بعد ارفضاض المؤتمر وقبل ان تبدأ الوفود تعود الى اوطانها ، قام الحسين ومعه الوفود تركب السيارات الفارهة يطوف بهذه الوفود الكريمة في انحاء فلسطين ريفا كنابلس وجنين وطبرية والناصرة ، وثغورا ساحلية كيافا وحيفا . واقيمت لهم المآدب ، ولاقاهم الاهالي على الطرق هاتفين لهم مرحبين بهم ، فكانت سياحات اشبه برياضات عسكرية اسلامية فعرفت الوفود حق المعرفة .

اما الاستاذ الثعالبي فقد بقي في القدس اذ هو هنا من قبل كما سبق القول ، واصبح « من اهل البيت » كما يقولون . وكانت اعمال المؤتمر وعقده قد نهكته نهكا ، كما جرى للمفتي من هذه الناحية ، فبعد ان عادت الوفود ، هبط الحسيني وصديقه الثعالبي « اريحا » التي تبعد عن القدس ٣٥ ك م وهي في الغور قرب البحر الميت ، وهي اجمل مشتى في بلادالعرب او على الاقل من اجمل المشاتي . فبينما وانت في اريحا يسرح منك النظر الى الجبال المكتنفة لها فتراها مكللة بالثلوج ، على بعد عشرات الكيلومترات ، تجد نفسك في « اريحا » مغمورا بالدفء ، داخل الغرفة في بيتك وخارجها ، وبوسعك ان تسيرولا « جاكيتة » عليك وفيها بساتين البرتقال ، والموز من اجود طراز . اما برتقالها هذا فانه كله حلاوة ، ولا حموضة منه وهوفي دور النضج ولجودته فان مواسم برتقال اريحا تباع كلها محليا ولا يصدر منها شيء الى الخارج . في اريحا هنا استجم الزعيمان ، الحسيني والثعالبي ، اسبوعا كاملا .

الاسماء للشخصيات التي ذكرتها في هذا الفصل بعضها مستخرج من اوراقي ودفاتري وبعضها الاخرمنقول من مطبوعات مكتب المؤتمر . وفي بعض المواطن ان عدد رجالات الوفود يبلغ المئتين لا المئة والخمسين . غير اني اود ان اشير اشاره خاصة الى رضا توفيق الفيلسوف التركي الشهير وكان مصطفى كمال غاضبا عليه فجاء رضا توفيق عمان فتلقاه الملك (الامير) عبد الله بن الحسين برا وترحيبا وغمره سيد بني هاشم الغطريف الجحجاح بمكارمه وعالي لفتاته . وكنت سعيدا في اثناء المؤتمر ان جاورته وحادثته واقتبست منه ، وكنت اترجم لشاعر الاسلام محمد اقبال خطبه الارتجالية في المؤتمر ، ومثل ذلك لمولانا شوكت علي ، فرأيت ان بين الثقافتين العاليتين ، ثقافة رضا توفيق وثقافة محمد اقبال ، حلاوات متماثلة تندى من خلق كل منهما ، طبيعة هذا الضرب النقي من التهذيب الذي لا يجاوره الا صفو العلم . وشهدت مرة بينهما حديثا بالانكليزية تمنيت لو سمعه رجال المؤتمر جميعا . ونشر الصديق الراصد المنقب النقيب جوزف نعمه تعليقا في « الاديب » يجلو ناحية من قصة رضا توفيق وهو في جونيه . ولكن عندي في جونيه قصة مولانا شوكت علي والامير سليم سنة ١٩٣٢ لا محل لها هنا هذه المرة . موعدنا قريب .

اعتقد ان مؤتمر مكة ١٩٢٦ ومؤتمر القدس ١٩٣١ ، وقد تكلمت عن كليهما كما يلاحظ القارىء ، هما من اعظم المؤتمرات الاسلامية في اثناء مدة ما بين الحربين . اما بعد الحرب الثانية ، واستكمال استقلال الدول العربية والاسلامية والافريقية فقد اخذت المؤتمرات تكثر حتى صارت تنوع وتصنف ، وهي جمة ، واعلاها القمة .

عجاج نويهض

رأس المتن – لبنان

في الغد البعيد

أريج سعادة

الشويفات ــ لبنان

غــدا صغيـري تكبـر
وتقرأ حكاية المدينة الحزينــة
التــي اقفلـت ابــوابهــا
بعـــد رحيـــل الشمس
واستتــرت بالعتمــة
لتشرب مــن دموعهــا
المدينة نامت في ظـل قنـاديلها الدكناء
ونـام وراءهــا قمـر حـائل
ملتـه الكــواكـب
ولفظـــه الفضــاء
فحضنته مدينــة الاحــزان
واضحـى القمـر مـرآة بـراقـة
تحشـر فيهـا دمـوع الارض
فـي الغـد البعيد صغيري
ستتعرف الى المرآة العطشـى
التـي لا تعرف الارتــواء
وستنديهـا بدمعـك الريـان
مـا دمت ابـن زمـن يعمـد بالدمـوع
غـدا ستوافينا الى المدينة الحزينـة
وتقـرع ابوابهـا المحكمـة
وستلقانـا اقمـارا ذاوية
تستحيـل مـرايـا نقيـة
تنعكس عليها رؤى وذكريات
فعلى حافـة الغـد البعيد صغيري
نحـن انتظـار
نأتـي مع الريـح الســاخنـة
مــع المطــر ،
نأتي مع الاحــزان
خلف ضحكة القمـر
نأتي : ولـم نأتـي ؟
سمـاؤنـا كئيبـة
ارضنـا غـريبـة
واقــدارنــا السفـر
اواكـب الريـح
لاعلمهـا الغنـاء
وآويهـا الى شفتي
لتلثـم الصمـت
وفي حنجـرة الريـح
مصيـر بـائس ، يبكـي
وعلـى شفـاهها
زمـــن ثـرثـار

بعد رحلة العودة عبر الصحراء، بعد معاناة التمزق النفسي والتشتت ، وبعد معارك شرسة غير متكافئة. لم أجد مفرا من الاختفاء ، انسى هويتي وابتعد عن عالمي . اصبت بانهيار ادى الى الشلل في التفكير ، واللامبالاة . وعشت مجهول الاسم ، والاقامة .. مجهول الشخصية . لم اعد افكر في شيء ذي بال ، او الق بالا لمفاجآت الحياة .

قبيل هذه الايام المشؤومة ، انتقلت وحدتي فجأة الى مدينة « القنطرة شرق » ومكثنا هناك بضعة ايام لم نشعر خلالها بما ينبيء عن معركة وشيكة الوقوع . يطمئننا قائد الوحدة الى انها تحركات عسكرية ، وان كان يجهل سببها . ولاحظنا تحرك قوات ضخمة في اتجاه العريش وقطاع غزة فعرفنا انها الحرب لا محالة ، واعتقدنا ان القائد يتكتم الامر . كانت الانباء تضيف كل يوم توترا جديدا . انها الحرب .. حقا هي الحرب .. وشغلنا القائد بتدريبات عسكرية يرضي بها رغبتنا في التهيؤ والاستعداد ، ويمتص توترنا ، وان لم يسلم هو من القلق ذاته .

كان عادل سالم — زوج اختي ، وزميلي — مرحا ، يخفف من توترنا بمزاحه وحكاياته الطريفة . ودائما يجد في جعبته الاحاديث المسلية التي تزيل من قلوبنا الوحشة ، ومن صدورنا الضيق . لكنه ذات مرة همس جادا :

— فراستي تقول انها مظاهرة عسكرية . فالقائد يعاني توترا بالغا ، ويبدو ان الموقف غامض .

— ربما فراستك غير موفقة .

استطرد ، دون ان يهتم بما قلت :

— سألت القائد في المساء : مادامت الحرب وشيكة الوقوع ، فهل لنا ان نرفع من كفاءة التدريب . ابتسم قائلا : لا تقلق . قد يكون هناك غموض لكنه سيتضح حين تصلني التعليمات .

بدات ازن كلمات القائد بميزان دقيق .. قلت لعادل :

— يبدو ان قلقنا جميعا ، لا يساوي شيئا امام قلق القائد !

— هذا ما اراه

اجترار الذكرى يصيبني بالدوار . لماذا أعود بذاكرتي الى الماضي

هرعت جدتي العجوز الي افاقتني من وحدتي ، وعالمي المكسور الجناح . لقد دخلنا الحرب .. قالتها في قوة وثقة ، رنت كلماتها في أعماق نفسي . تناولت كوب ماء ، عساي أزيل الملوحة التي في فمي ، او اتجرع غصص المرارة التي في حلقي . عساي افيق الى عالمي . ارتعدت فرائصي ، واقشعر بدني . عدت الى ذكريات الماضي .. فمنذ ست سنوات حملت عادل جريحا ، ومن حولي تجثم جثث الرفاق ، شاخصة نحوي في جنازة



بقلم حسني سيد لبيب

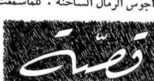
مهيبة . كنت الحي الوحيد وسط هؤلاء الضحايا . وقفت جامدا ، شلت قواي ، تبلد احساسي .. صلبت في العراء .. تهدج صوت عادل الجريح :

— هذه لحظات النهاية .

دمعت عيناي .. واصل كلماته الاخيرة :

— ارجو ان تخفي النبأ عن عفاف حتى تلد .. وتسمي المولود « امل » ، ولدا كان ام بنتا ..

ضممته الى صدري ، وركضت اجوس الرمال الساخنة . كلما سمعت



ازيز طائرة ، ارتمي على بطني ، والف ذراعي حول صدر عادل . واحس برائحة الموت في كل طلقة مدفع . حتما سأموت ، وتنتهي حكايتي مع الدنيا . يد عادل تشد ياقة سترتي . عيناه شاخصتان .. توقفت ، انفاسي تتلاحق ، والعرق يتصبب غزيرا . ارقدته في ركن ظليل .. تنفس انفاسا متقطعة ، ثم طلب ماء باشارة الى فمه بعد ان خانته الكلمات ، غارت في حلقه الذي يشكو الجفاف . فتحت الزمزمية فاذا بها ايضا تشكو الجفاف . القيتها بعيدا في غضب . تنبهت حواسي الى ازيز طائرة مختلطا بطلقات الفيكرز .. انبطحت ارضا ، بجانب عادل ، تظاهرت بالموت وان كان الموت راحة لي من تلك اللحظات الرهيبة . ان الاحساس بالموت اقسى من الموت ذاته . الطائرة تقترب من الارض ، طلقات الفيكرز تدوي في كل اتجاه ، وتشتد اذا اشتبه العدو في وجود انسان .

مرت عشر دقائق رهيبة ، نفذت فيها الطائرة غدرها بنجاح ! كانت الطائرة هي الشيء المتحرك الوحيد في وادي الموت ! الاحياء هنا كالموتى ، لا حول لهم ولا قوة ، سوى الاحتماء ، والتخفي . وبعد ان ساد المنطقة هدوء نسبي ، نهضت وضممت عادل الى صدري ، ومشيت اكمل رحلتي الغبراء .. ضممته الى صدري اكثر .. لم اعد اسمع حشرجة انفاس ، ضممته اكثر فما سمعت سوى دقات قلبي التي تشتد .. تهاوت البقية الباقية من قوتي . ارقدته ارضا ، لم اصدق ما ذهبت اليه ، تناولت المعصم ، لم يعد القلب نابضا ، لقد .. فارق عادل الحياة !

صرت انا الجريح الوحيد ، الحي الميت !

وسدته الثرى ، تحت شجرة ظليلة حفرت على جذعها اسمه بحروف كبيرة .. « عادل سالم » .. والتاريخ « ٨ — ٦ — ١٩٦٧ » .. ثم ضحكت لحرصي على تدوين التاريخ ، هل ارجع الى هنا مرة ثانية ؟ هل ستكتب

لي الحياة ؟ . عدت أواصل رحلتي، وقد غار قلبي هولا مما رأى .

كان وجهها صافيا ، تلف رأسها بطرحة بيضاء ، فبدت ملاكا طاهرا.. رن صوتها في أعماقي رنينا حلوا ، ايقظ كامن الشعور .. انها الحرب، حقا هي الحرب .. وارتعدت ، خفت آذى سمعي دوي المدافع وازيز الطائرات وطلقات الرصاص ، وصدمتني قوة دفع الهواء اثر سقوط القنابل ... انها أشباح الماضي تترى في مخيلتي .. اصبت باغماء..هرعت الي جدتي ، تداوي الم النفس .. ولما افقت ، طالعتني ابتسامتها الملائكية، وبشرتها البيضاء الطاهرة .. بدت قمرا مضيئا ، اختفت تجاعيدالسنين نهضت ، واخذت أمرن قدماي على السير في غرفتي الضيقة . تأملت وجهي الشاحب في المرآة . التجاعيد تحفر ظلالها القاتمة في وجهي،اتسعت حلقتا السواد حول عيني . شتان الفرق بيني وبين جدتي . برغم فارق السن ، فالامر يختلف تمام الاختلاف فجدتي العجوز تتذوق طعم الحياة حبا ، بينما أتجرع انا غصص الموت كرها . أعيش معها في بيتها ، لكننا بعيدان بعد الحياة عن الموت.

ظللت احرك مؤشر المذياع بين المحطات ، نابشا فيه كعصفور جائع. قواتنا ترد اعتداءات العدو ..نظرت الى السماء ، الى الله .. منذ ست سنوات ، كانت ارادتي مشلولة . واجهنا الموت ، صدورنا مكشوفة . شنقنا في العراء ، فهل كان حكما بالاعدام ؟ .. أم هي غضبة الله ؟ . اذكر رحلتي الغبراء لعبور القناة الى الغرب . اقترب مني كهل في الخمسين من عمال السكك الحديدية ، بدا في حلته الخضراء كنبت شيطاني في قلب الصحراء ، سألني في صوت هامس :

ـ سمعت ان هناك خطة وراء انسحابنا .. اليس كذلك ؟

ـ ربما ..

وغذينا السير في رحلة الآلام . وحين وصلنا الى الضفة الغربية ، ارتميت على الارض اعياء . وحين افقت ، لم ادر ماذا أفعل ؟ . كيف اعود الى أسرتي ؟ . وماذا أقول لعفاف عن زوجها الشهيد ؟ . عفاف مريضة بالقلب ، ويخشى عليها من ازمة قلبية . يجب ان اختفي،واخفي عاري . كيف اصرح بأني وسدته الثرى ؟!. انها حامل ، ومريضة ، ويخشى عليها في ظروف الولادة من مضاعفات المرض ، فكيف أضيف الى مصيبتها مصيبة أخرى ؟. يجب ان اختفي حتى تضع عفاف مولودها، وحتى تلتئم جراح القلب . واذا ما عدت الى وحدتي ، فماذا اقول ؟.



حسني سيد لبيب

جميعا استشهدوا ، غدرا قتلوا .. في البداية قاومنا،كأننا ننحت الصخور بأظافرنا !. واستشهدالقائد .. لكننا قاومنا ، حتى وجدنا أنفسنا امام الموت المحقق وجها لوجه ، فامكانياتنا محدودة امام تعزيز مستمر لقوات العدو . وكانت الطائرات تنقض علينا كغيلان الموت ، ولم نعد جنودا في حومة الوغى ، وانما أصبحنا صيدا سهلا لشرذمة الطغاة !.

ذكرياتي الاليمة يجب ان تختفي، يجب ان اعيش هذه اللحظات بكل حواسي . قواتنا تقتحم خط بارليف الحصين ، الله اكبر ، الله أكبر .. زغردت فرحة صبيانية في أعماقي قبلت جبين جدتي ، كدت أرقص.. انه الثأر ، انه الحق .

ولكني سرعان ما عدت الى واقعي الاليم . فأنا هارب من الجندية،ومن الاسرة .. انا هارب من الحياة.أردت ان أعيش مجهول الاسم ، مجهول الهوية . سافرت الى الدلنجات،حيث عشت مع جدتي في صومعتها. ان العداء السافر بينها وبين الاسرة بسبب الارث يمنع سبل الاتصال. ولي منزلة خاصة واعزاز كبير لدى جدتي منذ الصغر . شرحت لها ظروفي ، ثم عرضت عليها مساعدتها في رعاية مزرعة الفاكهة لقاء أجر شهري يكفي معيشتي . فرحت ، وأجزلت في العطاء . ومن الدلنجات بدات كتابة رسائل الى عفاف ممهورة باسم عادل . طمأنتها بأني أعامل في الاسر معاملة حسنة !. وطلبت منها الا تسأل عن الرسول الذي يساعد في توصيل الرسائل . حاولت ادخال الطمأنينة الى قلبها ، لكني بعد فترة تراجعت عن خطتي ، عذبني ضميري أيقنت مدى جرمي .. كيف أبعث الروح في رفات عادل ؟. انها جريمة لا تغتفر . احساس بالذنب جعلني اقلق . كما أني أعيش على هامش الحياة ، لا صفة لي ، بت مطاردا كالمجرم . الضمير الحي ما يزال يقسو على احاسيسي ، حتى أني فضلت الموت على هذه الحياة .

وافاقني المذياع ببيان جديد، قواتنا تتدفق عبر المعابر ، بكامل معداتها ، وعتادها .. يقشعر بدني ، أفتح النافذة ، أستنشق الهواء الطلق ، اقبل جبين جدتي . شعرت ان الروح عادت الى جسدها بعد طول غربة . اقابل اكبر عدد من الناس ، أحدثهم عن تفاؤلي . يحثني نداء قوي على العودة الى القاهرة ، الى امي وعفاف واخوتي . يجب ان أرحل عن منفاي واعود للحياة مع الناس . انا جندي

هارب حقا ، لكن ما الضير في اعلان توبتي ؟. وأيا كان العذر، فقد اخطأت ويجب تصحيح الخطأ . أستطيع فعل أي شيء .. لا بد من العودة .. لا بد من العودة .

الناس في القاهرة يعيشون أسعد لحظات الحياة ، وفي الدلنجات صادفت نفس الوجوه . قصدت بيتنا بمصر الجديدة ، انه فيلا من طابقين تسكن في الطابق الاول أمي واخوتي، وفي الثاني عفاف . يبدو ان عم عبده البواب ترك عمله ، او ترك الدنيا . يجلس الان على دكته الخشبية شاب أسمر مديد القامة ، ينظر الي مليا ثم يأذن لي بالدخول حين قدمت له نفسي.

كان الطابق الارضي خاليا، فصعدت الى الطابق الثاني ، فتحت طفلة صغيرة الباب ، فهتفت :

ـ أمل ...

تفرست الصغيرة في وجهي، قلت:

ـ ما اسمك يا حلوة ؟.

ـ من انت ؟.

ـ أنا خالك صلاح .

قالت الصغيرة في حزم :

حدثتني أمي كثيرا عن خالي صلاح الذي استشهد في الحرب !.

وجمت . ارجع الى صومعتي ؟. أم ماذا أفعل ؟. أضافت الصغيرة:

ـ وكيف عرفت اسمي ؟.

اسمها امل اذن ، كما هتفت يا فؤادي .

أضيء مصباح حجرة النوم وخرجت منها عفاف ، هرعت اليها أمل قائلة بصوت عال :

ـ الم تقولي ان خالي صلاح قد استشهد ؟.

ـ بلى ...

ـ من الواقف على الباب اذن ؟.

ركضت عفاف نحوي . هتفت في انفعال مفاجيء :

ـ صلاح !.. غير معقول !.

واحتضنتها . حمدا لله وشكرا. مرت لحظة اللقاء بسلام . رويت لها قصتي ، وجاهدت في اخفاء كل ما يتعلق بعادل . لكنها طمأنتني على عادل !.. الرسائل التي وصلتها منه لا تبعث على القلق !.. شعرت بوخز الضمير .

ـ ولماذا أسميتها « أمل » ؟.

ـ طاف بي هاتف أثناء نومي ، وأخبرني بان ابنتنا ستكون أمل المستقبل ، أمل الحياة المنتصرة.

لم أحدثها عن وصية عادل، ينبغي الا أعكر صفاء هذه اللحظات. ولتعش عفاف احلامها الوردية ، ولتنتظر عادل .. ان الحياة مع الامل، افضل من مفاجأتها بما تراه مستحيلا .

استأذنت عفاف كي تستدعي امي واخوتي، الذين ذهبوا لزيارة الخال. تمليت في الصور المعلقة على الحائط عثرت على صورتي وقد كتب اسفلها « الشهيد صلاح مأمون ».. في هذا المكان ينبغي تعليق صورة أخرى لعادل ولكن كيف ؟. ثمة اخطاء وقعت فيها وربما كان الخطأ الاكبر أني مازلت حيا !.

فتحت المذياع ، سمعت بيانا آخر يعلن تحرير مدينة « القنطرة شرق » واحتضنت أمل الجالسة بجانبي ، غمرت وجهها بالقبلات . لقد تحرر المكان الذي شهد مقتل أفراد وحدتي واستشهاد عادل . انه الثأر . يجب ان تفرحي يا عفاف بهذه اللحظة الرائعة .

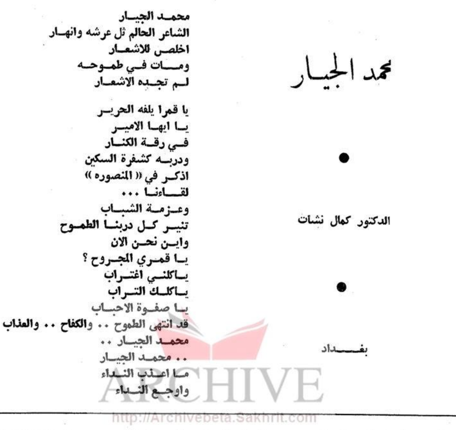
قبل ان يحضر احد ، استأذنت أمل لاشتري سجائر .. وضعت كراستي في أحد ادراج مكتب، دونت فيها كل شيء ، الحقيقة الكاملة .

هرعت الى وحدتي ، قدمت نفسي، بعد ان كنت في عداد المفقودين . سأرضى بحكمهم ، فقط اريد العودة الى القتال . تملكتني رغبة انتحارية عارمة ، سأنتقم ما استطعت الى ذلك سبيلا . ذهبت الى السويس، وكان العدو يلعق جراحه . يحاول تحقيق مكسب ما . لكن آماله تحطمت على مشارف السويس الصابرة . اختلطت الآلاف القليلة من المدنيين الموجودين بالسويس باخوانهم العسكريين . تلاحمت الصفوف في حماس جارف . تكونت مجموعات قتالية صغيرة ، كل واحدة مسؤلة عن مهمة محددة . توليت قيادة احدى هذه المجموعات . حرصت على ان أقاتل بفدائية ، لا قيمة للحياة عندي لقد عشت ست سنوات عجاف من اجل يوم رائع كهذا . فلأثأر لزملائي، وعادل ، وكرامتي الجريحة . واجهت مجموعتي طابور الدبابات التي حاولت اقتحام السويس . صوبت مدفعي نحو الدبابة الاولى ، فاشتعلت محترقة فقفز منها الجنود هاربين ، تلاحقت عليهم طلقات الرصاص من مدافع زملائي. وسرى الحماس في اجسادنا جميعا . اصطدنا بعض الدبابات ، وانقذ الانسحاب السريع باقي الدبابات التي كانت في المؤخرة .

كانت السويس حقا مقبرة للغزاة ودرعا واقية لمصر ..

وفي احدى المرات ، أصابت صدري طلقة طائشة ، نبهني اليها الدم الساخن الذي سال ، تواريت خلف ساتر رملي ، وحاول زميل اسعافي ، ولكن الجرح نافذ في صدري مازلت ممسكا مدفعي . نبهته الى وجوب صد هجمات العدو ، لكنه نصحني بالتزام الراحة. مازلت ممسكا مدفعي مازلت قادرا على القتال . ان ضحايا الغدر تطوف أرواحهم حولي الان ، طالبين مني الثأر .. أوصاني عادل ولم انفذ الوصية ، آه .. الجرح نافذ ، أحس به كنصل متوهج في قلبي .. الكراسة التي تركتها تروي الحقيقة كاملة .. عادل كان يتألم ، طلب مني جرعة ماء ، فلم أجد. والان هذه اللحظات رائعة . تطوف حولي أرواح الشهداء . نحن نغسل العار، نثأر ، نحرر الارض المغتصبة ،نسترد الكرامة الجريحة .

حشرجة في صدري . أهي لحظة الموت ؟. لا يهم . انها لحظة انتصار، وحياة ! . طلبت جرعة ماء ، ناولني زميلي الزمزمية التي كانت مملوءة. شربت حتى ارتويت . طعم الماء حلو



محمد الجبار

الدكتور كمال نشات

بغـــداد

محمـد الجبـار
الشاعر الحالم ثل عرشه وانهـار
اخلص للاشعـار
ومـات فـي طمـوحـه
لـم تجـده الاشعـار

يا قمرا يلفه الحريـر
يـا ايهـا الاميـر
فـي رقـة الكنـار
ودربـه كشفرة السكين
اذكـر في « المنصوره »
لقـاءنـا ...
وعـزمـة الشبـاب
تنيـر كـل دربنـا الطمـوح
وايـن نحـن الان
يـا قمـري المجـروح ؟
يـاكلنـي اغتـراب
يـاكلـك التـراب
يـا صفـوة الاحبـاب
قد انتهى الطموح .. والكفاح .. والعذاب
محمـد الجبـار ..
.. محمـد الجبـار
مـا اعـذب النـداء
واوجـع النـداء

والثار رائع .. الحمد لله ..الحمد لله .

★

وفي بيت الاسرة بمصر الجديدة، عادت الام والاخوة فرحين لعـــودة صلاح، أخبرتهم امل انه خرج لشراء سجائر ، فانتظروه ، انتظروه طويلا ولم يعد . طلبت الام ابدال الصورة بأخرى ضاحكة تنبىء عن الحياة . الانتظار يطول بالام ، والاخوة وعفاف حتى امل الصغيرة ترقبتفي شغف عودته .

بعد عدة أيام ، علقت الام الصورة في مكانها ، وتمتمت :

ـ عادت الصورة الى مكانهـــا ، لكنها الان في وضعها الصحيح ، كان هناك ثمة خطأ .

مسحت عفاف دموع الامبمنديلها:

ـ لا مكان للدموع . لكل معركـة رجالها . وصلاح مأمون ، حرص على ان يموت بطلا .

ـ أدعو الله ان يطمئنك علىعادل.

ـ الموت والحياة متساويان عندي وأيا كان حكم القضاء ، فأنا راضيـة به . ظللنا نعلق صورة صلاح الشهيد اكثر من ست سنوات ، وكان حيـا يرزق . وحين عاد ، نزعنا الصورة من مكانها لنعلق أخرىضاحكة ، وكان هو يلفظ آخر انفاسه على ارضـــس السويس . الموت والحياة متساويان اذن ، وقيمة الموت ، او قيمةالحياة تكون في معنى كل منهما .. المعنى الـذيمن اجلـه نحيـا ، والمعنـى الذي من أجله نموت . أحس أننـــا نستطيع فعل شيء ذي قيمة .

ورغم الجلد الذي تعلمته فيمعالجة جرحى الحرب ، الا أنها ذرفتدمعتي حب على زوجها ..

قالت لها الام :

ـ ألم تقولي ان الموت والحيـــاة متساويان عندك ؟.

ـ . . .

سألت أمل :

ـ أتبكين يا أمي ؟.

ـ لا . . .

وقالت لنفسها : « انك صورة من عادل ، وذكرى منه » .ثم قالـــت لأمل :

ـ انها دموع فرح ، انا فرحة بك يا أمل . .

احتضنت أمل ، وغمرت وجههـا بالقبلات .

القاهرة **حسني سيد لبيب**



النـــاس والحـب

تأليف ابراهيم المصري ؟ صفحة ـ منشورات كتاب اليوم بالقاهرة

صدر مؤخرا عن كتاب اليوم « الناس والحب » لاديبنا الكبير ابراهيم المصري . وابراهيم المصري يمتاز من بين ادبائنا في انه اعطى الكثير من ادبه ، وافسح المجال ، لتحليل العواطف الانسانية ، وعلى رأسها عاطفة الحب ...

وهو يمتاز في تحليله لهذه العواطف الانسانية بدقة في التحليل، وعمق في الرؤية ، ووضوح في العبارات .. وهو حين يكتب ذو اسلوب خاص متميز ينفرد به ، يمكن عن طريقه معرفة شخصيته ... شريطة ان يكون القاريء قد قرأ مؤلفاته ، وأحبه ، وعاشره .. وله معه صولات ، وجولات ...

وابراهيم المصري يختار باحساس فني تلك العواطف التي تكون دائما مثارا للصراع . كعاطفة الحب مثلا .. فلا غرو ان تنبض كتاباته بالحرارة والصدق .. لانها تمثل بصدق ـ ودون ادعاء ـ الحياة بكل ما فيها من صراع لا يهدأ أبدا . وليس المهم عنده ان يحسن الاختيار في العاطفة التي يتحدث عنها . بل أنه قادر دائما على الحديث عن أية عاطفة بنفس المقدرة الفائقة التي عرفناها عنه .. هذا على عكس غيره من الكتاب ، حين يتحدثون عن الحب فيشوهونه .. ويجمدونه .. بل يفقدونه أجمل ما فيه من صراع .. وحيوية ، ونبض .. وحياة ..

والكتاب الذي نحن بصدد التأمل فيه هو نظرات وتأملات في عاطفة الحب ، التي تعتبر اعظم عاطفة منحها الله للانسان ، واذا كان الله محبة ، واحب الانسان ، فقد منح الانسان هذه العاطفة ليكون الانسان نفسه محبة من أجل الاخرين .

كما ان الكتاب يبين لنا أثر هذه العاطفة في حياة الانسان، ولعلنا لا نكون مبالغين ان قلنا أن الحب هو العاطفة الوحيدة التي بدونها لا يمكن للانسان ان يؤثر او يتأثر ، فليس أعظم من الحب مؤثرا .

واذا كان أديبنا الكبير في كتابه « صراع الحب والعبقرية »الذي صدر عن دار المعارف (سلسلة اقرأ) يحدثنا عن الصراع الذي ينشب ويستعر بين الحب والعبقريةقاصرا الحديث على بعض الادباءوالمفكرين والفنانين وحدهم ، فانه في هذا الكتاب « الناس والحب » يحدثنا عن الحب كعاطفة مشتركة بين الناس جميعا ، فالحب ليس وقفا على الادباء والمفكرين وحدهم ، ان من فضل الله على البشر ان جعل الحب لهم جميعا ... كالشمس والماء والهواء ...

يعرف الحب بانه التفضيل او الايثاربمعنى ان تؤثر انسانا واحدا وتتعلق به ، وان يؤثرنا هذا الانسان ايضا على غيرنا ، حينئذ يتم التبادل في الحب عن حرية كاملة في الاختيار والهبة .

مثل هذا الحب لا يمكن ان يتم اذا أحببنا الآخر بالجسد فقط، ذلك لان الجسد ينشد اللذة ، واللذة متقلبة ومتغيرة ..

الحب الكامل هو الحب الذي يعتمد على مشاعر الوجدان الصادقة العميقة التي تدفع الى الثبات والوفاء والبذل والتضحية ، ذلك هو الحب المثالي مثار خيالات الناس ، ومحط آمالهم ، وقبلة احلامهم ...

وهذه النظرات والتأملات في مختلف الوان الحب قصد منها المؤلف ـ كما يقول ـ ان يستهدي بها القاريء في حياته الوجدانية عساه متى أحب أن يجد في الحب سعادة وهناء ...

بيد ان الانسان قد يحلم بالحب ولا يتحقق معه أول مرة،فيسعى لذلك مرة ومرات ، لا يهمه ما يحتمل من عذاب او يقاسي من آلام .. يصبرويأمل .. ويرجو ... ويعيش دائما في هذا الشوق .. والتوقع.. والانتظار .. وما هذا الشوق الا شوق للحياة .

ولكن كيف يمكن ان يتحقق مثل هذا الحب الكامل الذي يشمل الروح قبل الجسد ، يقول : « وما الحياة الروحية سوى فكر وثقافة واخلاق ، يتألف منها عقل وقلب وضمير ، فمتى وسع الفرد آفاق تفكيره ، وضاعف من قوة ثقافته ، وحرص على نبل اخلاقه ، استيقظ فيه العقل والقلب والضمير ، فاستطاع ، متى احب ان يغلب في الحب عنصر الروح على عنصر المادة ، وان ينشد في الحب شيئا أبقى وأخصب من الشهوة ، وان يتحكم في طبيعته ، ويصبح بفضل هذا التفوق والسمو انسانا »

وهذا الحب العاطفي الروحي ـ في رأي أديبنا الكبير ـ لن يموت الا اذا مات الشعور الديني في القلب والوجدان ، ومثل هذا الشعور لن يموت ما دام الانسان يجهل مصيره .. ويحذرنا المؤلف من عصرنا الذي نعيش فيه ، عصر المادة ، والروح العلمية النفعية ... التي لم تعد تقدر الحب حق قدره ، او تعطيه المكانة الاولى واللائقة به ...

وعلى الانسان في هذا العصر ان يستمسك بأهداب الفضيلة ، ويسهر على معنوياته ، ويذود عنها ، ذلك كي يظل الجانب الروحي في نفسه حيا ، بحيث يمكنه ان يحب ، ويبذل ويضحي .. يعيش ويسعد .. ويمضي بنا المؤلف فيحدثنا عن الفتيات حين يواجهن الحب والاخطار التي قد يسقطن فيها فيتعثرن في الطريق .. ويكون الحب وبالا عليهن ... كأن يحببن المال او التبرج في الزينة .. او البحث عن الحب في علاقات خفية ، بعيدا عن البيت والاسرة . وعلى الفتاة ان تكون صادقة ومخلصة تسعى الى الحب الحقيقي .. حب الروح.

على ان الحب بالنسبة للمرأة يشكل كل حياتها .. فالعاطفة عندها أقوى من العقل ، واذا أستطاع الرجل ان يلمس قلب المرأةفقد أستطاع ان يؤثر فيها ... وتختلف نظرة الرجل للحب عن نظرة المرأة اليه . من هنا كان من الضروري ان يفهم كل منهما طبيعة الآخرويتوافق معه ، حتى يمكن ان يسعد ، ويسعد ...

ولما كان الموضوع هو الحب ، كان لا بد من ان نربط بينه وبين الزواج . الحب حلم والزواج يحقق هذا الحلم . على ان الحب ينبغي ان يبقى طوال الوقت ... والزواج شركة مقدسة ، ورباط الهي،وجب على المرء ان يصونه ويحميه .

والحب يولد الغيرة ، والغيرة عند المرأة تختلف بواعثها عنها عند الرجل ، والنساء أشد غيرة من الرجل لضعفهن الطبيعي ،والغيرة عند المرأة لها دور خطير في الحياة الزوجية ، اذ ترتد في النهاية الى حفظ النوع ، وخير الاسرة ، وان اتخذت في شكلها الظاهري طابع الانانية ... فهي غيرة تهدف الى البناء لا الى الهدم .. والى الاتصال لا الى القطيعة ...

هذا الكتاب ، في الواقع عبارة عن لوحات فنية جميلة ، تحمل كل

لوحة منها فكرة بعينها .. ولكن الافكاركلها مترابطة معا ، واجمل ما فيهذه اللوحات أنها تعبر عن الواقع والحياة .. وتنيض بالصدق والاخلاص. شانها شان اللوحات التي رايناها في كتاب المؤلف «خبز الاقوياء»...

وبعد ، فاني لم أطمع في ان انقل للقارىء هذه اللوحات ، فهذا متعذر بطبيعة الحال ، ولكني هدفت ان أستثير القارىء وأحثه على مطالعة الكتاب وتفهم افكاره ، لعله يستهدي في حياته الوجدانية بها، كما أراد له المؤلف .

القاهرة — راضي حكيم

●

كرامة الفرد في الاسلام

تاليف الشيخ حسن آل الشيخ ـ ٥٥ صفحة ـ من القطع الكبيـر ـ مطبعـة (؟)

لئن كان لهذا القلم ان يطمح الى ما هو ابعد من غايته ، فان مما يبهج النفس ان اتحدث عن هذا المؤلف القيم بموجز آياته الكريمة ، وبديع كلماته السامية . وقصاراي ان اتم الحديث على خير ما ارجوه من دقة . وعلى احسن ما أحب من انصاف .

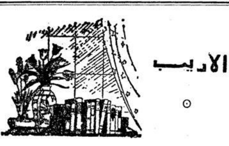
والكتاب القليل الصفحات الفني بالآيات القرآنيـة المجيدة ، والشروحات الفريدة ، يتضح لنا من عنوانه ، انه يصور لنا تلك الرسالة السماوية الخالدة التي جاءت لسعادة الانسان (ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) صدق الله العظيم . وان موضوع الكتاب كان فـي الاصل محاضرة قدمها معالي العالم الجليل الشيخ حسن آل الشيخ وزير معارف المملكة العربية السعودية ، في جامعة مندنا و (الفلبين). وقد قام بترجمتها الى اللغة الانكليزية الاستاذ مصطفى السعدون . فجاءت مستوفاة الشروط لقراء اللغتين العربية والانكليزية على حد سواء . ونستطيع ان نقول ان العلامة المحاضر المؤلف ، صور معانـي هاتيك الكرامة الفردية في الاسلام تصويرا دقيقـا رائعا . مبينا بالامثلـة والاستشهادات اثر تلك المعانيالسماوية في حياة الانسانالفردومصيره. ويؤيد ذلك ما اشتهر به علامتنا الوزير الجليل من بسطة في الشرح الموجز ، وسعة الاطلاع ، والمام العالم بالمواضيع الروحية التي يلتـزم بها في مواطن ابحاثه :

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمـه　　فانت الروح لا بالجسـم انسـان

ومن امثلة تلك المواضع المذكورة ، ما أرانا في مستهل محاضرته بقوله : لقدكانتتعاليم هذا الدين واضحة صريحة ، فيما وجدتصعوبة في الالتقاء مع العقول المستقيمة الواضحة . بل لقدكانت ـ وربما انفردت بذلك ـ تتجه بواقعيتها الى العقل الانساني لتشده من سباته ،اولتدفع به في الطريق التي ينبغي له انينتهجها ، ولتقول له فيما يشبه التانيب الحاني : حقق بوجودك غايتك . فالدين الاسلامي يلجأ ، وباصرار ، الى مخاطبة العقل وتمكينه من استخدام مواهبه وشحذ قواه حتـى ينتهي المطاف ـ ان فعل ـ الى موقف التبعية الواثقة الواعية التـي تستشعر من ثقتها مكانتها ، ومن وعيهااحترامها للغير واحترام الغيرلها.

فنحن نرى من هذا المثال الموجز ان الكتاب يجمع بين الفائدةالمادية واللذة الروحية ، الثقافة الانسانية والاستمتاع الادبي الكريم . فهو اذ يحلل ويدقق في شرح علمي ، وخلق روحي اصيل ، فان القارىء ليحس شخصية العالم المحاضر في كل عبارة من عباراته ، ذلك لانـه يفرغ على الكلمات صور ذهنه المشرق وحماس قلبه وايمانه . ونحن لا يسعنا وقد عرفنا بانفسنـا مبلـغ مناصرة العالم الوزير لكرامـة

الأديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ٥٠ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار : ٢٥ دولارا بالبريد العادي

٥٠ دولارا بالبريد الجـوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

☎ الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819

☎ المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨ـ١١

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

الانسان المظلوم الى ان ينال حقه الكامل من العدالة ، فاننا نتقدم بعظيم الشكر على مجهودات معالي الوزير في ميادين الثقافة العربية والدعوة الاسلامية التي ترفع رأس الامة الاسلامية وتشرف اهل الضاد جميعا .

طرابلس ــ لبنان **محمد اديب غالب**

•

عندما جاءت عصافير الدوري

للشاعرة البلغارية ليدا ميليفا ــ ترجمة عيسى فتوح ــ ١٠٤ صفحة ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية ــ مطبعة وزارة الثقافة بدمشق

هذا الكتاب الذي صدر أخيرا في منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في سورية ، هو باكورة أعمال الصديق الاديب السوري عيسى فتوح . وهي باكورة ليست مبكرة ، وليس صاحبها بالاديب الناشيء الذي يستعجل الشهرة قبل النضج ، فيسبق عمره في طلبها عن طريق النشر : فعيسى فتوح يمارس مهنة الكتابة منذ سنين عديدة ، ويكتب في صحف متعددة ، وله أكثر من كتاب مخطوط . ولو كان ممن يستعجلون الشهرة قبل اوانها ، لصدر له من مقالاته المنشورة في الصحف ــ كما يفعل ناشئة اليوم المتعطشون للمجد السريع ــ أكثر من كتاب واحد قبل الان . انه ممن يؤمنون بأن « في التاني السلامة، وفي العجلة الندامة » ، وان المجد الادبي لا ياتي بالابتسار والتسرع، وانما هو وليد النضج الفكري والخبرة الحية ، والثقافة الواسعة المستمرة .

وقد شاء الصديق فتوح ان يكون علمه الادبي الاول ترجمة لا تاليفا واختار لذلك شاعرة بلغارية ، هي السيدة ليدا ميليفا ، واختار لها ديوانا من شعر الاطفال والطفولة . وعيسى فتوح يميل الى أدب الاطفال ويعنى به ، ولذلك التقى ميله الخاص مع ميل الشاعرة ميليفا ،فاحب شعرها ، واحب ان ينقله الى لغته العربية . وكان موفقا في اختياره ، كما كان موفقا في أسلوبه في الترجمة .

أما الشاعرة ميليفا ، فقد ولدت في بلغاريا ١٩٢٠ ــ كما ورد في تعريف المترجم بها ــ وهي ابنة الشاعر البلغاري غيو ميليف ، وقد نشات في جو فكري راق ، يحوطها أبوها بعنايته ورعايته . وقدنظمت الشعر صغيرة ، وكانت لها صداقات مع كبار شعراء بلدها . وقد وضعت كل مواهبها في خدمة الاطفال ، لتساعدهم على ادراك حقائق الحياة باسلوب بسيط مشوق .

يشتمل كتاب « عندما جاءت عصافير الدوري » ، الذي يقع في ١٠٤ صفحات من القطع الوسط ، على تعريف سريع بالشاعرة ،فقصيدة للشاعر السوري المعروف سليمان العيسى عنوانها (من أطفال سورية العربية الى أطفال بلغاريا الصديقة في عيدها الوطني) ، ثم مقدمة قصيرة للمترجم . ويلي ذلك ثمان وعشرون قصيدة ، الاربع الاخيرات منها يؤلفن ،في الواقع ، قصيدة واحدة متكاملة . من هذه القصائد التي تؤلف مجموع الكتاب ، قصيدة أعطت الديوان كله عنوانها .

أما الصورة الشاملة التي يخرج بها قاريء الديوان فهي صورة الشاعرة الام ، التي تجلس في حلقة أطفالها ، تروي لهم حكايات مليئة بالصور الانسانية الحلوة ، وببراءة الطفولة العذبة ، وغنية بالرؤى والالوان التي تجعل الاطفال عيونا وآذانا وقلوبا بريئة مشدودة شدا وثيقا الى الشفتين اللتين ترويان هذه الحكايات ببساطة ساحرة ممتعة ، كما تجعل منهم أخيلة منطلقة وراء الصور والرؤى التي تعرضها حكايات الشاعرة الام بكل احساسها ، وكل الحنان الذي لا تملكه الا الامهات .

وحكايات ميليفا الشعرية غنية بالرموز والمعاني الانسانية التي تحث ــ بطريقة غير مباشرة ــ وهي كذلك غنية بالتوجيه اللطيف ، غير المباشر ، الذي يستفيد منه الطفل في حياته اليومية .

قصيدة (المظلة) مثلا ، تحلم الطفل ان المظلة تقي الناس من المطر في الشتاء ، ثم يلقون بها جانبا بعد انتهائه :

فتعود بتواضع
الى مشجبها المغبر
منسية وحيدة
كشيخ حطمته السنون

ولكن هذه المظلة ، رغم الاهمال ، لا تحقد ولا تحزن ، بل تظل دائما ذات

قلب حي فتي ،
فما ان تبدأ حبات المطر
تعزف :
تنك ــ لنك ــ تنك ــ لنك
حتى تندفع ثانية
تشق عباب المطر

وفي هذه القصيدة معنى الاستعداد الدائم للخدمة النافعة وللتضحية ، مهما لقي الانسان من نكران الآخرين وعقوقهم .

وقصيدة (المران) تعلم التعاون من أجل الخير ، وتعلم الطفل ان التعاون هو الذي يجيء بالسلام والحب ، ويؤدي في النهاية الى خير الجميع :

والآن يسير المران
يدا بيد
يخترقان الارض
طريقا واحدا منيفا
سعيدا ومرحا

وقصيدة (الريح العاتية) تعلم الطفل ان لا يأبه للمغترين بانفسهم، الذين يتعالون على الاخرين ، ويحاولون سد طريق التقدم في وجوههم ، وان يسير بايمان ووداعة وصمت لكي يبلغ النجاح والسعادة : فشجرة الكرز لم تبال بالريح العاتية ، بل ظلت تنمو بصمت ، وتنضج حباتها بهدوء تحت الشمس :

تطلعت حبات الكرز الخضر الى الشمس
وابتسمت الشمس لكل حبة .
ونتيجة للفرح الغامر
استحالت جميعها حمرا في القمة .
والان تعيش شجرة الكرز سعيدة .
كاسعد ما يمكن ان تكون شجرة

ومثل شجرة الكرز في قصيدة (الريح العاتية) كذلك شجرة الصنوبر ، في قصيدة (شجرة الصنوبر الصغيرة) :

افزعها برد الشتاء
فطارت منها العصافير الجبانة .
لكن شجرة الصنوبر الصغيرة الشجاعة
ظلت مقيمة معنا ، خضراء ومرحة
لانها شجاعة ، ولانها طيبة ،
ولا تهرب الى الاراضي الاخرى .
لقد حاك لها الشتاء برنسا
والثلج الابيض قفازين ليديها

اما القصائد التوجيهية فاذكر منها (زلاجات وزحافات) ، فانها

تهدف الى تحبيب الاطفال بالرياضات الثلجية ، كما تعلمهم قصيدة (آن ترسم رجلا) الدقة في العمل ، وعدم عمل شيء ناقصا . وقصيدة (شجرة الصنوبر الصغيرة) التي اوردنا ابياتها قبلا ، تعلم الشجاعة ، والطيبة ، وحب الارض والوطن . وكذلك قل في القصائد التوجيهية الاخرى .

والحقيقة ان براءة الطفولة تملأ قصائدها ، او حكاياتها الشعرية ، بالكثير من المعاني الطفولية الملأى بالعذوبة . خذ مثلا قصيدتها (اصمت) التي تختمها بقولها :

انتهى النهار ، وخيم الظلام ،
فنام الصغير الان ملء عينيه ،
اندس بحرارة في فراشه المريح
لا تحرسه غير النجوم .
ايتها القطة القصيرة النفس
اوقفي الهرير من فضلك .
ايتها الاوراق ، ظلي ساكنة ولا تتحركي .
وانت ايتها الريح اللطيفة ، حاولي ان لا تهبي
ففي النوم ينمـو الاطفال .
لا تزعجيه ، وسترين
ان الطفل سيغدو حالا اكبر مما هو .

ونلاحظ في كل هذه القصائد جمال العبارة ، وحسن اختيار اللفظة اللطيفة التي تناسب لطف الطفولة ونعومتها ، مما يزيد في جمال هذه الحكايات الشعرية الخيالية الساذجة مثل سذاجة الطفولة وعذوبتها .

هذا النوع من الشعر ليس بالامر الهين . وما اسخف الذين يحسبون الكتابة للاطفال عملا سهلا !! ان الكتابة لهم اصعب واعقد كثيرا من الكتابة للكبار : فانت مع الكبار تستطيع ان تخاطب عقولهم وعواطفهم مباشرة ، اما الاطفال فيحتاجون الى من يخاطب خيالهم البريء ، ونفوسهم المطبوعة على الجمال الساذج الرقيق . وبكلمة اخرى ان هذا النوع من الشعر المكتوب للاطفال يحتاج الى قلب الأم الواسع الغني بالعاطفة ، والى خيال الشاعر الذي يعيش بكل احاسيسه براءة الطفولة ، وسذاجة احلامها ، وجمال خيالاتها . وليدا ميليفا ـ كما هي في كتابها هذا ـ تملك كل ذلك ، وبكثيرمن من الفنى واللطف ، وتسكبه في قصائدها التي تروي فيها حكايات الازهار ، والاشجار ، والحيوانات ، والانهار ، واوراق الشجر ، والعصافير ، وغيرها ، وكل هذه مسخرة لخدمة الطفولة ، ولاغنائها بالخيالات الساحرة ، والمعاني الانسانية الرقيقة .

وانت تقرأ قصائد هذا الديوان فتسير معها بكل حواسك ، وقد عدت طفلا يحلم احلاما بريئة ، ويسوح مع الشاعرة في دنياوات تملؤها الطيور والاشجار والازهار ، وعناصر الطبيعة كلها ، وكلها تتكلم ، وتروي حكايات لطيفة ، دافئة بالحنان الذي تخلعه الشاعرة على كل ما تصوره ، وكل ما يلونه خيالها من احلام الطبيعة الطفلة ، ومن براءة الاحاسيس .

انك لا تستطيع الا ان تعود طفلا وانت تقرأ هذه القصائد . كذلك كان شعوري كله وانا اسير مع الديوان : من اول قصيدة فيه الى اخر قصيدة . ولقد تساءلت فعلا : اترى كتبت الشاعرة قصائدها لنا نحن الكبار لتعيدنا الى براءة الطفولة ، وتهرب بنا بعيدا ـ ولو للحظات قصيرة ـ عن عالم الكبار الشقي المعقد ؟ ام تراها كتبتها حقا للصغار وحدهم ، لتحلق بخيالاتهم في عوالم واسعة ، جميلة ، مرحة ، ملأى بالحيوية ، والحب ، والجمال ؟

لعلها رامت الهدفين معا ، فابدعت ، ولعل الصديق عيسى فتوح رام الهدفين معا كذلك ، فاحسن الاختيار ، كما احسن الترجمة .

عمان ـ الاردن — عيسى الناعوري

حزن حتى المـوت

مجموعة قصص ـ تاليف فاضل السباعي ـ ١١٦ صفحة من الحجم المتوسط ـ صدرت عن الاهلية للنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٧٥

من مقولة اوسكار وايلد : « ليس لك ان تجيب ، ان انت وصفت كتابا بانه اخلاقي او لا اخلاقي ، فالكتاب اما ان يكون حسن التاليف او رديئه، وهذا كل شيء » . وهذا الطرح يعتوره النقصان ، ذلك انه لم يفسر ماهية حسن التاليف : فان صح انه يعني الشكل والمضمون ، الاسلوب والجوهر ، فقد وفى الكتاب حقه من التعريف والا فلا .

وبالقياس ، فان مجموعات فاضل السباعي ، عامة ، ومجموعته القصصية الجديدة « حزن حتى الموت » خاصة ، اخلاقية وحسنة التاليف معا . والتعريف الوحيد الذي يطلق على هذه المجموعات ، ان كلماتها تنساب ما بين السطور ، كسقسقة الماء بالساقية ، في ارض مخضوصرة . ثم انها تدخل الانشراح الى الصدر ، والسكينة الى القلب، مثلما تبعث الراحة في النفس وتمد العقل بالغذاء .

تحوي مجموعة « حزن حتى الموت » ـ كما يقول المؤلف « خمس عشرة قصة ، يربط بينها خيط واحد ، فتصبح وكانها فصول لرواية طويلة ، تدور حوادثها حول الانسان الذي حرم اعز ما عنده : الحرية». ويغص حلقومه فيعبر عن مكنوناته قائلا : « هل ثمة افصح ممن غابت عنه الحرية قسرا ، ان يحكي قصة الظلم بجرأة ؟ »

والذين عانوا تجربة الحرية في البلاد الصادية ، يدركون جيدا انها لم تكن باحسن حالا في عهود الاستقلال ، مما كانت عليه في عهود الاستعمار ، ان لم تكن اسوا وارذل . فالحرية هي ملك الاقوياء وحدهم ، واما الضعفاء فلا شان لهم معها . ثم ان الحرية « تؤخذ ولا تعطى » ومن لم يصنها بدمائه ، بل من لم يفدها بالغالي والرخيص ، فهي منه براء . ارأيتم احسن تعريفا لها مما قاله احمد شوقي :

وللحرية الحمراء باب — بكل يد مضرجة يدق

وهيهات لنا ، معشر الضعفاء ، ان نحرز تقدما ، او ان نسترد

اجزاءنا السليبة المغتصبة ، ان لم يصبح الشعب العربي كله ـ من الماء الى الماء ـ عزيزا حرا ، بغير ماوصاية عليه . وعندئذ فلا بد ان يتنفس بكلتا رئتيه ، ويصير بشرا سويا ، فيغذ الخطا في طريقه الـى الوحـدة ، سبيله الى النصر ، ولا سبيل له غيرها . فلا عدالة بلا حرية ولا ظلم بغير استعباد . هذا وان العدل اساس الملك ، واما الظلم فمرتعـه وخيم : فيه غياب الضمائر ، حيث لا يبقى ثمرة رادع عن ارتكاب الآثام ، للمواطنين ، بحق وطنهم ، وبعضهم مع البعض الاخر . وبافصح عبارة ، فليس اصدق مما قيل :

« ان قاضـي المستعبديـن لعبـد وقضـاة عـور قضـاة العور »

العنوان « حزن حتى الموت » لا يحمل عنوان اية قصة ـ كما هي العادة ـ وانما يحمل عنوان مجمل قصصه ، وهو ما نطق بـه السيـد المسيح في موقف اكتئاب : « ان نفسي حزينة حتى الموت » . ومجرد مطالعة صفحة واحدة ، فلا بد من الامعان في قراءة المجموعة من الالـف الـى اليـاء . وعندئذ فلا بد ان ينقبض صدر القارىء ، بل لا بـد ان يحزن حتى الموت ، وهو يستعرض (سيناريو) مسلسل المظالم ، بعبارات بليغة منتقاة ، واسلوب جذل مبسط ، مع براعة في التصوير ، ودقـة في الوصف ، لا تعادلهما براعة ولا دقة .

ولا تختلف قصص هذه المجموعة ، فكل قصة درة ، وانما تتمايز بالحجم ، فكلما ازداد الحجم تضاعفت القيمة ، كالماس تمـاما . فليس الشكل بافضل من المضمون ، بل لعلهما توأمان في الجودة .

وللانصاف ، فانهذه القصص ترقى ذروة الادب الملتزم ، لانهـا ترصد الظلم ، من ابشع صوره . وهل الظلم الا وباء اخلاقي يمسـخ الانسان ، فيشيع الفساد في المجتمع ، ويهوي به الى الحضيض ؟ ... نافلة ان اقول : ان الظلم علة العلل . وانه لكابوس يميت ولا يحيي .

تزين هذه المجموعة بثلاث قصص : انتظار تحت الشمس ، والاسم والصورة ، والعينان في الافق الشرقي . اثنى الدكتور شكري عياد على الاولى في ابلغ تعبير : « فبناؤها الاسطوري ، وايجازها المشبـع بالمعنى يجعلانها درة » . واعجب شوقي خميس بالثانية لانها « دفاع عـن حرية الانسان ... الذي استهلك الخوف ، والمحاولات المستمـرة ، للتخفي والهروب من « شباك السلطة » كل طاقاته على الحيـاة والابداع » .

واما القصة الثالثة فتصوير لواقع ، حلوه مر ، كالعلقم ، فيـه امعان السلطة لقلب مفاهيم القانون بتعويد الناس على الغباء . والانكى من هذا كله : غسل دماغ الانسان العربي ، بترويضه علـى المذلـة لكي يغدو ـ بنظرها ـ « مواطنا صالحا » او « مواطنا صالحا جدا » بقدر ولوغه في تعفير وجهه بالرغام ، ومدى قابليته لتقبيل الايدي والارجل ، طواعية او كرها ... !

مصياف ـ سورية مصطفى الخش

•

ليتـك تسمـع

مجموعة وجدانية ـ تاليف اميلي حداد ـ (؟) صفحة ـ من الحجـم الوسط ـ مطبعة (؟)

في خاطري حديث يراع تفجر ، فتحرر . شاءت الظروف ان تقيده ، فتحطم القيد عند ريشته ، وانساب فاحسن وابدع . ذلكم هـو قلـم الاديبة اميلي حداد ، وقد عرفناها في باكورة انتاجها الادبي « نحـو الاعالي » الذي حكت لنا فيه حكاية العمر ، حكاية المأساة ، حكايـة الامل الذي ما زال يسطع في افقها كالف شهاب ، والف رغبة للعطـاء والابداع ، فاطربتنا نغمات قلمها ، وهزت مشاعرنا بصدق مشاعرها .

ان اميلي حداد تعود الينا من جديد ، في اطلالة جديدة ، وبديوان جديد عنوانه « ليتك تسمع » . وهي هنا تكمل حياة العمر ـ المأسـاة بعمق ابلغ ، وبصمود اشد ، فتذكرنا بان الالم يطهر الروح ، فتـرقـى وتاتلق ، وان الامل يسحق كل الم ، وان الانفس التي افعمتها المحبـة والايمـان ، لها في كل موسم ربيع ، وفي كل خاطر عبرة وذكرى .

وحين تقرأ كتاب « ليتك تسمع » ، تدرك كم يضج في النفـس البشرية من المفارقات ، وكم يعج في اغوارها من نزعات تتضارب ، ثـم تستوي كلها من اجل الخير والحب والعطاء ؟!

ومثلما عرفت اميلي حداد كيف ترشف البسمة من عيون الاحزان وكيف تقلم اظافر الشوك ان هي تجرأت ومنعتها من شهي القطاف ، فقد عرفت ايضا كيف تضفي على كتابها هالة من التشويق ، تشدك الـى التهام الحروف ، حتى اذا شارفت النهاية ، وجدت نفسك تسـأل الكاتبة الشابة مزيدا من حلاوات قلمها العاطر الندي ؛ وما احسـب القارىء الا واجدا ذاته في احدى مقطوعات الكتاب ، حيث تروي المؤلفة حكاية المظلوم ، او فرحة الحبيب السعيد ، او دمعة المؤمن الصامـد ، او عبـرة الشهيد الخالد على الزمان .

وعلى الرغم من انقطاع اميلي حداد القسري عن المجتمع والناس ، فهي تعرف كيف تحكي حكاية الواقع البشري والاجتماعي ، فتصـور الافراح والمآسي بصدق ودقة ، لكاني بها ما غابت عن المجتمع يومـا ، ولا انقطعت عن المشاركة في شؤونه وشجونه . واميلي حداد ، بعد هذا ، تستهين بالالم ، مثلما تستهين بالصعاب ، فتقول :

مـا الالـم ؟
كـأس .. بـين شفتـي
مـا السقم ؟ مـا العـذاب ؟
نفثـات انفاسي ، يرجعها فؤادي
الالـم ، معزوفة قديمـة ،
والسقم من اعـز اصدقائي
والعـذاب جريمـة نـور
في كل ثانية تقبلها عينـاي !

وفي مقطوعة ثانية ، حكاية دمعة ما سقطت الا لتكتب اسـم الحبيـب :

سقطت دمعـة علـى ورقتي
امتدت رقعتها حتىضمت حروف اسمك
وجـرت سيـول مـن عينـي
فرحت ، وانـا في خضم شقائي
ابتسمت ، رغم العذاب الطويـل
واستكنت ، وانا في ثـورة حنيني اليك !
لقـد بكيـت اخيـرا
وبلل المطـر ايامـي الطويلـة
التـي ايبسهـا الجفـاف
وعـادت ذكرياتي معـك

واميلي حداد ، توجعها دموع الكبار ، فتقول في مقطوعة « دموع الكبار كالسقطة » :

ايهـا الاطفـال
الراكضون على ارصفة الفرح والغبطة
ليـت لـي اعماركم
فـلا اتنشـق مـن زمنـي
سوى رحيق لحظاته الحلـوة .
ايهـا الاطفال السعيدو البسمات

لماذا لا تستعيرون اقنعتنا ومتناقضاتنا ؟
اتراكم تشتاقون الالم
ام انكم تسخرون منا ؟

وتنهي اميلي حداد مقطوعتها المؤثرة بقولها :

اليوم كبرنا نحن
ولكننا ما نزال نبكي
والدمعة في عين الكبير كسقطة الصقر
بسهم صياد فاشل .

ثم ان اميلي حداد تعود فترى احلامها متهاوية تحت وطأة التكنولوجية الحديثة ، حيث تغدو الانسانية معذبة ، ولذلك تراها تدعوك الى وقفة زمنية وجيزة تقدر ، على قصرها ، بدهر :

وقفة فوق اطلال الانسانية
وتدرك ، كم من الجماجم
تتحول الى ارصفة للمرور
والافئدة ، وآمال عذراء تموت !
يا صديقي
ادعوك اليها
لتترك السطور والافكار جانبا .

وعلى لسان الحبيب المتيم ، تقول المؤلفة :

لا تفرجي عني
ورأيت نفسي ، بلا وعي
مخلصا وفيا لصاحبة الهيكل ،
فلم اعد الح في الوجود الا عينيك الموقدتين
ولا اشتهي الا عنقك العاجي !
تعلقت روحي بك ،
وباتت سجينة سعيدة في اسرك
لاول مرة اذوق طعم الاخلاص ،
فلا متعة تضاهي متعة الغرق في محيطاته ،
ولا روعة توازي روعة النوم على وسادته !
انا سجين تلك اللحظة الرائعة
ولن اطلب الافراج عني
فلاول مرة ، ربما يتآلف السجان مع سجينه ،
ويصبحان عاشقين !

هذه هي اميلي حداد ، في كتابها الثاني « لينك تسمع » : في يراعها ثورة الهدوء حين يستثار ، وهدوء الثورة حين تطمئن ! الم اقل في البدء ، انه يراع تفجر فتحرر ؟!

نوال يونان

●

الشعر التونسي المعاصر من ١٨٧٠ الى ١٩٧٠

تاليف محمد صالح الجابري ـ تقديم محمد العروسي المطوي ـ ٧٠٧ صفحات ـ منشورات الشركة التونسية للتوزيع

لقد ظل الادب العربي في تونس ، دفين الصحف والمجلات والتقييدات الخاصة لدى المهتمين بالادب وشؤونه وشجونه زمنا طويلا ... وما سوى كتابي « الادب التونسي في القرن الرابع هـ » للمرحوم زين العابدين السنوسي ، و « الحياة الادبية والفكرية في تونس » للفاضل بن عاشور، لم يظفر الادب العربي في تونس ـ شعره ونثره ـ بالتفاتة تسجيل وتقييد ومتابعة وتقويم ، وانه لنقص ـ والله ـ كبير . الى ان جاء الشاب النشط الدؤوب : محمد صالح الجابري فرفع عن الادب ورجاله ـ وخصوصا الشعر ـ الغبن المقيت ، والاهمال الفاضح ، والتقصير المخجل وقام بعبء تاليف هذا السفر الطيب « الشعر التونسي المعاصر من ١٨٧٠ الى ١٩٧٠م » اي تعرض المؤلف لمدة قرن من الزمان . وانها ـ والحق يقال ـ لفترة طويلة ، ومرهقة ، ومختلفة ومتباينة ، شكلا ومضمونا ، وزمانا ومكانا ، واتجاها وطبقية ، وظروفا تكوينية وحياتية . وانه لمجهود سيظل يذكر فيشكر بكل ما فيه ، وما حوله ، وما له ، وما عليه .

وقدم الكتاب للقراء الاستاذ محمد العروسي المطوي ، وقد جاءت مقدمته خالية تماما من اعطاء اي لمحة او فكرة عن المؤلف لا من حيث مولده وموطنه ، ولا من ناحية تكوينه الثقافي ، وميله الفكري فجاءت هذه المقدمة زائدة ، وحشوية ، وحشرية ، وليس لها من عائد او فائدة سوى اثبات اسم صاحبها على الكتاب . والمقدمات بصورة عامة وشاملة واساسية تشرح ما غمض من معان ، وتنقد اماكن الضعف والخلل ، وتلقي ضوءا كاشفا على الاثر المقدم له ، فاذا خلت المقدمة من اغراضها ومزاياها جاء وجودها لا يمت للاثر الادبي الموطئة له ، بصلة او نسب، وتصبح ذات هدف بعيد لا يهم القارىء والناقد في شيء على الاطلاق لا من قريب ولا بعيد . ومن المصادفة العجيبة اني تكلمت على المقدمة واهدافها والاستغناء عنها ، وذلك في جريدة « الصباح » التونسية منذ عشرين عاما اي في سنة ١٩٥٥ بمناسبة صدور كتاب « الحروب الصليبية » للاستاذ المطوي المكتوبة مقدمته بقلم المرحوم الشيخ العربي الماجري

وانا اذ ذاك ادرس في المرحلة الثانوية في لبنان . وما اشبه الليلة بالبارحة !!؟

والكتاب الذي بين ايدينا جاء في سبعمائة وسبع صفحات من الحجم المتوسط ونشرته «الشركة التونسية للتوزيع» عام ١٩٧٤م وضم الكتاب بين دفتيه المقدمة الانفة الذكر ، وهذه المحاولة ، بين المؤلف فيها طريقته، ومنهجه ، واسلوبه ، ثم خمسة فصول موزعة على الفترات الزمانية التالية :

الفصل الاول من ١٨٦٩ – ١٨٨١م والثاني من ١٨٨١ – ١٩١٤م والثالث من ١٩١٤ – ١٩٣٤م والرابع من ١٩٣٤ – ١٩٤٠م والخامس من ١٩٤٠ – ١٩٧٠ م. هذا من حيث الازمنة التاريخية ، اما من ناحية الشعر والشعراء فقد قسمهم الى شعراء كلاسيك وغنائيين ، والحلم والواقع ، والواقع الاشتراكي...

وهذا الكتاب في مجمله جهد مشكور ، وعمل ملحوظ ، وخدمة جلى للادب واهله . وانا هنا لا اريد ان انقد الكتاب نقدا اكاديميا اتباعيا ، ولا أقصد التعرض له بالغربلة والتدقيق ولا أنوي وضعه على المحك ، او امام المجهر الذي يظهر الاشياء الصغيرة ويضخمها للرائي شديد الاهتمام فذلك يستدعي دراسة متانية ، وتتبعا يقظا ، ومطالعة ناقدة مقومة . وهذا بدوره يحتاج الى وقت متسع ، وجهد مكثف وتركيز شديد .... وانما كل ما أهدف اليه . هو ان أشد على يد المؤلف بتحية تقدير وعرفان وامتنان على تقديمه هذا المجهود الطيب في المجال الادبي عموما وفي الشعر على الخصوص . وان أبدي ملاحظات رفيقة ويسيرة ، وهادئة خدمة للرأي العام الادبي عموما وفي تونس على الاخص .

اولا .... حين صنف المؤلف الشعراء الانواع المذكورة في الفصول الخمسة أغفل الشعر الرومانسي ، والشابي يمثل قمة الرومانسية في تونس ، وهذه تختلف عن الكلاسيكية التي قبلها ، وعن الواقعية الاشتراكية التي بعدها والفروق بين المدرستين والاتجاهين كبيرة ، وجذرية وعميقة. وان كان جاء ذكر الرومانتيكية داخل الكتاب .

ثانيا .... لقد مثل المؤلف في كل طائفة بشعراء اعتبرهم ممثلين للاتجاه الشعري واغفل الكثير من الشعراء اعتمادا على ملاحظته السابقة ومن الشعراء المسقطين من الحساب والعد من لعب دورا كبيرا سواء بشعره ، او بانشطته الفكرية او الصحفية او التاليفية او المعاناة الوطنية الحادة .. واذا صح تبعا لرايه اسقاط الشعراء مثل : الهادي المدني محمد الفائز ، صالح سويسي ، محمد الشعبوني ، الطاهر القصار ، الصادق الفقي ، الصادق مازيغ ، سالم الضيف ، الطاهر بن سلطانة ، الحفناوي الصديق ومحمد الصفير . فلا يقبل بحال من الاحوال اغفال هؤلاء الشعراء الذين مثلوا ادوارا في دنيا الشعر ، ليسوا كشعراء فقط بل توسع نشاطهم ورحب . وقادوا حركات أدبية ، وساهموا بقسط وافر في اثراء الحياة الادبية وامدوها بحياة زاخرة بالالوان الادبية المختلفة على اختلاف تكويناتهم وتباين مشاربهم ، وامكنة انطلاقاتهم ، وميولهم الفكرية واتجاهاتهم السياسية ، ومعاناتهم الوطنية .. فمثلا لا يمكن ان لا يعطى المؤلف بسطة عن الشاعر حسين الجزيري الذي تخصص في الشعر الاجتماعي الفكاهي الرامز لمعاني ، والهادف الى اغراض ومقاصد خصوصا وهو من بناة الحركة السياسية سنة ١٩٢٠ وصاحب « دار النديم » التي طبعت احد جزأي ديوان خزندار .. كذلك ليس من المقبول اغفال الشاعر : سعيد ابو بكر « وتونسه المصورة » والمرحوم محمد بوشربية كان من المفروض ان لا يسقطه وهو صاحب الحملة الصادقة على المدح والكذب والنفاق . وهل من المعقول عدم الكلام عن محمد المرزوقي اولا كشاعر اصدر ديوانه « دموع وعواطف » سنة ١٩٤٦ م والذي آثار ضجة من النقد والتعليق كان من قادتها الاستاذ ابراهيم بورقعة المحامي في عاصمة الجنوب ، والناقد الادبي المعروف ، وثانيا كصحفي في جريدة « النهضة » ومحرر صفحتها الادبية ، وثالثا كوطني لقي الكثير من النفي والعنت والاضطهاد . اذ كان من دعاة الاصلاح الزيتوني المبكر.

فهؤلاء الشعراء الى جانب الناحية الشعرية كانت لهم معاناة اخرى وفي اكثر من ميدان . والجانب الاخير من جوانب المرزوقي التاليف والتحقيق وتقييد الادب الشعبي . وهو مفرد في هذا الباب ! أليس كذلك ؟؟

ثالثا .... وفي الباب الخامس وضمن عنوان من « المباحث الى الفكر » تحدث المؤلف عن ظهور مجلة « المباحث » ودورها الملحوظ في المجال الأدبي ، وتكلم عن مجلة « الندوة » التي تلتها في الظهور والاختفاء ووصل به الحديث الى مجلة « الفكر » وأثبت المؤلف في صفحة ٣٦٢ الكلمة التالية « ...... ومجلة كالفكر تصدر في تونس، وفي هذا الوقت بالخصوص على صاحبها واجبات ضخمة وتبعات كبرى، نحو الوطن وتجاه المواطنين ، وتجاه المجتمع التونسي الصاعد الى العلاء. والان نقول يا أستاذ مزالي نريد فكرا حرا خاليا من جميع الشوائب وخالصا من جميع التوجيهات التي عرفناها في صحافتنا ، نريد فكرا ثوريا يعلمنا كيف نثور ، وكيف نغضب ، وكيف نرفض ما لا يتماشى ومستقبلنا الزاهر الذي ننشده ، ونسير اليه دائبين فكرا جديدا فيه جرأة الجديد وعظمة الماضي المشرق ، نريد فكرا يصور لنا الواقع ، واقعنا البشع الكريه كما هو . نريد فكرا يجعلنا نكره هذا الواقع ونبغضه ونعمل على تغييره . كما نريد من مجلة « الفكر » ان تكون منبرا حرا لافكار واقلام حرة ...... »

وهذه القطعة اخذها المؤلف من مقال صدر بجريدة « الصباح » «كترحيب بالفكر » ودعوة الى ان تكون كما جاء في المقال . هذا المقال خرج بعنوان « الفكر الذي نريد » بصباح ٢ مارس ١٩٥٦ لكاتب هذه السطور . ولا أدري ما هو المانع من الاشارة الى كاتب هذا الموضوع مع ان الامانة الادبية ، والصدق التاليفي ، والحقيقة التي يجب ان لا يحجبها أي حاجب مهما كان نوعه تفرض عليه نسبة كل قول الى صاحبه.. ولعل للمؤلف عذره ، ونحن نعمل بذلك القول الحكيم « التمس لاخيك عذرا » وان كان حجب بعض الاسماء أصبح سمة متبعة . فالاستاذ عثمان الكعاك عندما قام باحصاء الاسماء التي كتبت عن « الشابي » لم يضع اسمي ضمن القائمة مع تعدد المواضيع التي كتبها عن « الشابي » في مجلات « العرفان اللبنانية » « والرسالة » المصرية ، وكذلك أغفل اسمي الاستاذ كرو في كتابه « الشابي وصداه في الشرق » .

وليس الباعث على اثبات هذه الملاحظة هو ما يتعلق باسمي ، بل اوردتها كظاهرة سيئة عند الكتاب والمؤلفين في تونس ، والكعاك وكرو أعرف غرضهما ، وأفهم مقاصدهما ، وأدرك خلفيتهما . اما الاخ محمد الصالح الجابري فلا أعرف الدافع الاساسي لعدم اثبات اسمي على ما نقله مع انه ذكر المصدر والاخير لا زال حيا وموجودا .

وما دام المؤلف لم يغفل الشعراء الذين يترجم لهم لاسباب مقنعة للقاريء ، او مقنعة للابداع الفني ، او الصدق الذاتي ، فالغالبية من شعرائنا تمرغوا في وحل المدح الرخيص ، والكذب الصارخ ، والنفاق الذابح ، والدجل المميت ، فمن الافضل والحالة هذه ان يلحق المؤلف كتابه هذا بذيل ، او تكملة او جزء ثان يترجم فيه لبقية الشعراء ، ويعطي عنهم ولو لمحات صغيرة ومبسطة لكي يصبح الكتاب بجزأيه مرجعا للشعر العربي في تونس ، وثبتا لرجاله على اختلاف مستوياتهم الفنية ، وقدراتهم الابداعية ، وحذقهم في عملية التعبير عن خلجات النفس ، ونوازع الانسان الباطنية والظاهرية وصدقهم الفني ، وقدرتهم على شد القاريء الى ما يقولون .

هذا ما عن لي ان أسطره عن كتاب « الشعر التونسي المعاصر » عند قراءتي له ، وسروري بلقائه ، وتهنئتي ، وصادق شكري للمؤلف على ما بذله في مؤلفه هذا من جهد مشكور .. وأرجو ان التقي به في مؤلفات أخرى اكثر دقة وأوسع شمولا ..

طرابلس – ليبيا

محمد العيساوي الشتوي